حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

١٠

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أحمد بهي الدين العسّاسي

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

مجلة سنوية محكمة تعنى بالتاريخ الإسلامي والوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

كل الحقوق محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2735-3923

رقم الإيداع بدار الكتب
2013/18750

الترقيم الإلكتروني
2735-4725

موقع المجلة على بنك المعرفة:
hsew.journals.ekb.eg

٢٠٢٢م

قطعة ٤ بلوك ٧ – المنطقة التاسعة – شارع د. رؤوف عباس- مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ – ٢٧٤٢٨٢٩١ – ٢٧٤٢٨٢٩٦ – فاكس ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميَّ والوسيط

مَجلة عِلميَّة مُحَكَّمة

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

العدد العاشر

القاهرة

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

رئيس مجلس الإدارة أ.د. أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ.د. حسين سيد عبدالله مراد

مديـر التحرير: د. محمد فوزي رحيل

أ.د. صلاح الدين علي عاشور

أ.د. عبير زكريا سليمان

أ.د. نهلة أنيس مصطفى

د. عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم

الهيئة الاستشارية الدولية

أ.د. إبراهيم عبدالمنعم سلامة (مصر)

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد (مصر)

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي (مصر)

أ.د. عبدالقادر بوباية (الجزائر)

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي(السعودية)

أ.د. عبدالهادي ناصر العجمي (الكويت)

أ.د. عفاف سيد صبرة (مصر)

أ.د. فتحي عبدالفتاح أبو سيف (مصر)

ا.د. قاسم حسن السامرائي (العراق)

ا.د. لطفي بن ميلاد (تونس)

أ.د. محمد أحمد بديوي (مصر)

أ.د. محمد عيسي الحريري (مصر)

أ.د. محمد الناصر صديقي (تونس)

Prof. Dr. Albrecht Fuess (Germany)

Prof. Dr. Sylvie Denoix (France)

Prof. Dr. Tetsuya Ohtoshi (Japan)

المحرر الفني أ. ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر بالحولية

- ترحب الحولية بنشر البحوث العلمية المبتكرة في التاريخ الإسلامي والوسيط باللغتين العربية والإنجليزية.
- يفضل أن يكون البحث في حدود ٣٥ صفحة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث على موقع الحولية على بنك المعرفة ولن يلتفت إلى الأبحاث التي ترسل عن طريق آخر.
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة (CV)، وملخصًا للبحث باللغة العربية ولغة أجنبية في حدود (١٥٠) كلمة لكل منهما والكلمات المفتاحية.
- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًّا بأن البحث لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها، وعدم الدفع به إلى النشر في جهات أخرى بعد موافقة الحولية على نشره.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بأصولها الصالحة للطباعة، وفي حال رغبة الباحث نشرها ملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- تتمتع الحولية بحق الملكية الفكرية للبحوث التي تنشرها، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في جهة أخرى بعد مرور خمس سنوات على النشر بالحولية، وبموجب أذن كتابي من رئيس تحرير الحولية.

- لا تقبل الحولية البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- توضع الهوامش مرتبة بطريقة متسلسلة في أسفل البحث.
- تخضع البحوث قبل النشر للتحكيم العلمي على نحو سري (معمي).
- يتم تقويم البحث وفقًا للعناصر التالية:
  - أن يكون البحث مبتكرًا، ومضمونه متكامل علميًّا.
  - وضوح المنهج، وملائمته لموضوع البحث.
  - رعاية الإخراج العلمي وتوزيع عناصر البحث.
  - سلامة اللغة ووضوح الصياغات والعبارات.
  - كفاءة المراجع وصحة التوثيق، وسلامة الهوامش، ودقة استخدام المصادر والمراجع.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، حتى وإن كانت طفيفة، وفي حال ما إذا رأت الحولية عدم نشر البحث، تخطر صاحبه بالاعتذار عن عدم النشر مع بيان الأسباب.

مُقَدِّمَة

تسعد أسرة تحرير حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، أن تقدم لكل المهتمين بالدراسات التاريخية وكافة القراء، العدد العاشر من الحولية. والذي يضم أبحاثًا معظمها حصيلة الموسم الثقافي للسيمنار لعام ٢٠٢٢م، والذي شارك فيه عدد من المؤرخين المتميزين في حقل دراسات التاريخ الإسلامي والوسيط.

ويتضمن هذا العدد تسعة أبحاث مهمة طبقت الشروط العلمية للنشر، وتنوعت؛ فعرض بعضها للتاريخ السياسي والبعض الآخر عرض للتاريخ الحضاري، ثلاثة منها في التاريخ الوسيط، وستة في التاريخ الاسلامي وحضارته.

وترحب أسرة الحولية بنشر بحوث السادة الأساتذة المؤرخين في الجامعات المصرية والعربية، كما تفتح صفحاتها لشباب الباحثين، أصحاب الدراسات التاريخية الجادة المستوفاة للشروط العلمية للنشر.

وتأمل هيئة تحرير الحولية بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن يحوز هذا العدد على قبول كل المهتمين بالدراسات التاريخية. والشكر واجب لكل الزملاء الذين شاركوا ببحوث جادة في هذا العدد.

وحتى تستمر الحولية في أداء رسالتها في خدمة البحث التاريخي خاصة التاريخ الإسلامي والوسيط، تستقبل الحولية مشاركات الباحثين للنشر في العدد القادم.

والله ثم الوطن العزيز من وراء القصد...

رئيس التحرير

أ.د. حسين مراد

مدير التحرير

د. محمد فوزي رحيل

المحتويات

(العدد العاشر ٢٠٢٢)

١- الرِّعَايَة الصِّحِّيَّةِ فِي الْمُؤَسَّسَاتِ الرَّهْبَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ وَآثَارِهَا الِاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ ..... ١١ - ٩٤

د. هاني مهدي راتب زحير

٢- مَوْقِفُ الْبِيزَنْطِيِّينَ مِنْ الْوَثَنِيَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ ٩٥ - ١٤٠

د. سهام محمد عبد العظيم

٣- سِيَاسَة الْبَابَا لِيُو الرَّابِعَ تجَاهِ هَجَمَاتِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رُومَا (٨٤٧- ٨٥٥م/٢٣٣- ٢٤١هـ) ١٤١-١٨٨

د. بدران عبدالونيس محمد

٤- تَوْقِيتُ السَّاعَاتِ الْيَوْمِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَاسْتِخْدَامِهِ فِي ضَبْطِ مَوَاقِيتِ مَجْمُوعَةٍ مِنْ أَحْدَاثِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ مُنْذُ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ حَتَّى وَفَاةِ الرَّسُولِ (ﷺ) (١٣ ق.هـ- ١١هـ/٦٠٩-٦٣٢م) دِرَاسَةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ..... ١٨٩-٢٢٧

د.طارق أبو الوفا

٥- بَصرةُ الْمَغْرِب ..... ٢٢٩ - ٢٩١

أ.د. نريمان عبد الكريم أحمد

٦- مَدِينَة أَرَّجَانْ فِي الْعَصْرِ اَلْبُوَيهِيِّ «دِرَاسَةٌ فِي أَوْضَاعِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ» (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م) ..... ٢٩٣ - ٤٢٦

د. محمد زين العابدين محمد مريكب

٧- اَلِانْحِرَاف اَلِاجْتِمَاعِيِّ عِنْدَ سَلَاطِينِ اَلدَّوْلَةِ اَلْغِزْنَوِيَّة (٣٥١-٥٨٢هـ/ ٩٦٢-١١٨٦م) ٤٢٧-٤٦٠

د. عبدالناصر عبدالحكم

٨- سِينُوب.. دِرَاسَةٌ فِي أَوْضَاعِهَا اَلسِّيَاسِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ عَصْر سَلَاجِقَةِ اَلرُّوم (٦١١- ٧٢٢هـ/١٢١٤-١٣٢٢م) ..... ٤٦١ - ٥٦٠

د. أشرف سمير توفيق محمد

٩- ظَاهِرَة تَدْخِينِ اَلتَّبَغِ فِي مُجْتَمَعِ اَلسُّودَانِ اَلْغَرْبِيِّ مُنْذُ اَلرُّبْعِ اَلْأَخِيرِ مِنْ اَلْقَرْنِ اَلتَّاسِعِ لِلْهِجْرَةِ حَتَّى سُقُوطِ مَمْلَكَةِ صنْغي اَلْإِسْلَامِيَّةَ ..... ٥٦١ - ٦١٤

د. بطل شعبان محمد غرياني

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط ١٠ (٢٠٢٢)، ٢٢٩ – ٢٩١

بَصرةُ المُغْرِب

Basra Morocco

أ.د. نريمان عبد الكريم أحمد[١]

ملخص

نشأت مدينة البصرة مع الأدارسة، واتضح دورها بعد أفول نجم مدينة فاس في بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وانفردت بداية من عهد الناصر الأموي وكان موقعها القريب من أموي الأندلس من أهم الأسباب التي جعلتهم يتخذونها قاعدة لهم ونقطة ارتكاز في المغرب الأقصى، خلال صراعهم مع الفاطميين. وبتقلص دولة الأدارسة أصبحت مدينة البصرة القاعدة الثانية للأمراء الأدارسة بعد مدينة حجر النسر، ولعبت مدينة البصرة دورا محوريا جاء ضمنيا أو واضحا أحيانا.

كما لعبت مدينة البصرة دورا ملحوظا على الصعيد الاقتصادى، لاسيما في الزراعة والرعى، خصوصا أن المصادر برغم أنها أوجزت في ها الصدد،

(١) أستاذ التاريخ الإسلامي، كلية الآداب – جامعة المنوفية.
nariman.hassan@art.menofia.edu.eg

فإنها أجملت ما يفيد بتفوقها في كليهما، حتيى جاءت أسمائها المختلفة معبرة عن ذلك فضلا عن ذلك فتشهد بقايا المدينة المندثرة باحتراف أهلها للصناعة. أما التجارة فأهلها موقعها على طريق مدينة فاس أن تلعب دورا تجاريا مهما وكانت هناك توأمة بين فاس والبصرة ، لذا كان دورها الاقتصادي هو الأول بلا منازع، لاسيما أنخا انتعشت بعد هدمها، بسبب موقعها المتميز الذي أسهم في جذب الاندلسيين والعرب إليها وهذه المدينة التي عاشت أربعة قرون تعرضت للتخريب ثم الاندثار.

Abstract

The city of Basra arose with the Idrisids.And its role became clear after the fall of the star of Fez at the beginning of the 4 AH/10 AM. And it was alone at the beginning of the Umyyad Nasser era. Its location was one of the most important reasons that made them use it as their base and focal point in the far Maghreb during their struggle with the Fatimids. With the decline of the state city of Basra became the second base for Idrisids princes after the city of HajarAl-Nisr. The city of Basra played a pivotal role that was implicit or sometimes clear. Also played a notable role on the economic level especially in agriculture and grazing the sources, although they are summarized in this regard, outlined both of them and their names come to express that. An addition, the remnants of the shattered city testify to the professionalism of its people for the industry. As for the trade it was located on the road to the city of Fez, making it play an important commercial role. There was twinning between Fez and Al-Basra. Hence its economic role was the undisputed first. Especially since it recovered after it demolition, due to its privileged location which contributed to attracting Andalusians and Arabs to it. This city that lived for four centuries was devastated and then extinct.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

اهتم الباحثون في الآونة الأخيرة بدراسة تاريخ المدن والأقاليم، ولعلها خطوة تحمل في طياتها أسبابها، فقد تم دراسة الفترات الزمنية من مختلف الأوجه، لذا كان لابد من التحري عن دور الجزء وما يحدثه في الكل، وما تحدثه المدن في كيان الدول انطلاقا من الأهمية المكانية وما يتوفر لها من معطيات جغرافية متمثلة في الموقع والموضع اللذين يؤثران في ظهوره على المسرح السياسي أو إكسابه وضعية اقتصادية متميزة.

وقد عولت بعض الدراسات [1] على هذا الاتجاه لمعرفة مدى مشاركة المدن في الأحداث التاريخية، ومحاولة التأكيد على ذلك من خلال دراسة المدن المهمة، لاسيما الحواضر الإسلامية باعتبارها المركز الذي شكل أو اشترك في صنع الأحداث، وكذا المدن الواقعة على طرق التجارة، أو التي تسيطر على بعض المقومات الاقتصادية.

وهناك بعض المدن لم يلتفت إليها، إما لارتباطها بالمدن الكبرى، أو لإلحاق الأخبار الواردة عنها بالمدينة الأم، مما يؤثر في عدم وضوح دورها لطغيان دور هذه المدن عليها، لكننا لو حاولنا دراسة هذه المدن لأمكنا تحديد ما

---

(١) رضوان البارودي، التاريخ السياسي لمدينة سبتة من القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري، المجلة المصرية للدراسات التاريخية مجلد ٣٦، ١٩٨٩؛ عبد العزيز بن عبد الله، سلا أولى حاضرتي أبي رقراق، سلا ١٩٨٩؛ حمدي عبد المنعم ، مدينة سلا في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسي، الإسكندرية ١٩٩٣.

أسهمت به، سواء في إبراز دور الحواضر، أو مشاركتها في الأحداث التاريخية بشكل عام.

لذلك فدراسة مدينة البصرة المغربية ترتبط بمحاولة تحديد موضعها من الأحداث، سواء أكان رئيسا أم مهمشا، فضلا عما تمثله من جوانب أخرى. وهذه المدينة التي ارتبطت بدولة الأدارسة العلويين ١٧٢-٣٧٥هـ / ٧٨٨-٩٨٥ م جاءت الأخبار عنها قليلة في المصادر، لكن اهتمام محمد ابن يوسف الوراق [١]، الذي عاصر هذه المدينة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وخصص لها في كتابه فصلا كغيرها من المدن المهمة [٢]، لدليل على أهمية الدور الذي لعبته، حتى لفتت نظر هذا المؤرخ آنذاك، فضلا عن إلحاح المصادر التي ترجمت للوراق على ذكرها.

وبسبب ضياع مؤلفاته، فتناثرت كتاباته فيما أورده المؤرخون، مثل البكري [٣] الذي ذكر معلومات مهمة ترتبط بالمسالك والطرق وموقع البصرة منها عبر المغرب الأقصى، وكذا بعض المعطيات الاقتصادية، ناهيك عن ذكر بعض المعلومات المتعلقة بالجانب السياسي، كما استفاد ابن عذاري [٤]، فيما نقله عن الوراق أيضا، فإضافة إلى احتوائه على بعض المعلومات الواردة عند البكري، فقد أورد سجلا بتولي ولاة البصرة ، ولما كانت هذه القطع الخاصة بالمدن، ومنها مدينة البصرة جاءت معترضة للتسلسل الزمني المتبع فسرعان ما

---

(١) هو محمد بن يوسف أبو عبد الله التاريخي الوراق ٢٩٢-٣٦٣هـ / ٩٠٤-٩٧٣م، ألف بالأندلس للخليفة الحكم المستنصر كتابا ضخما في ممالك إفريقية ومحاسنها وفي أخبار ملوكها وحروبهم وكذلك في أخبار المدن، انظر الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول، تحقيق إبراهيم الإبياري، بيروت، ١٩٨٣، حـ ٣، ص١٥٨ .

(٢) مثل تونس وتاهرت ووهران وسبتة ونكور وغيرها.

(٣) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بغداد، د. ت.

(٤) البيان المغرب في ذكر الأندلس والمغرب، تحقيق كولان ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٨٣ .

يعود إليه [١]، مما يبين أنها من كتابات الوراق .

كما حوي كتاب ابن حيان في القطع المنشورة منه [٢] أخبارا ورسائل متبادلة بين القائد غالب بن عبد الرحمن والخليفة الحكم المستنصر، ٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م، خلال الفترة من نهاية عام ٣٦٢ -٣٦٥ هـ / ٩٧٢-٩٧٥م، توضح دور البصرة بالنسبة للخلافة الأموية خلال الفترة الأخيرة من حكم الأدارسة.

إلى جانب ذلك، فهناك الدراسات الأثرية التي قامت بالتنقيب في خرائب مدينة البصرة ، وأفادت البحث إلى حد كبير؛ لأنها أضافت مادة علمية جديدة لم تذكرها المصادر. [٣]

وللوقوف على الدور الذي لعبته هذه المدينة، فلابد من دراسة كل ما يرتبط بها من الموقع والنشأة، وما وصلت إليه المدينة من عمران، فضلا عن تاريخها السياسي والمعطيات الاقتصادية التي توفرت لها، وكذا الناحية الاجتماعية والثقافية في حدود المادة العلمية المتاحة.

---

(١) عبد الواحد زنون طه، ابن عذاري المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي، بنغازي – ليبيا – ٢٠٠٤، صفحات ١٩٧ – ١٩٨ .

(٢) المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت ١٩٦٥؛ محمود علي مكي حقق وقدم وعلق على الجزء الثالث، بيروت ١٩٧٣، كما حقق شاليتما الجزء الخامس، مدريد ١٩٧٩.

(٣) انظر:

Eustache D,"El-Basra, Capittale Idrissite et son port," Hespéris, tome-l11, Paris 1955. pp.217-238; Corpus des Dirhams Idrisites et Contemporains, Rabat, 1970-1971; Benco, Nancy, Anatomy of Medieval Islamic town Al-Basra Morocco, Bar international series 1234, Oxford, 2004.

موقع مدينة البصرة :

وفيما يخص الموقع فقد اختلف المؤرخون والجغرافيون حول تحديد مكانها بالضبط، فتذكر المصادر أن مدينة البصرة تقع بحذاء جبل طارق، وبينها وبين هذه الجزيرة أثنى عشر فرسخا [١]، وتبعد عن مدينة أصيلا التي تقع غربي طنجة ثمانية أميال [٢]، بينما تبعد عن مدينة سلا الواقعة أيضا على المحيط الأطلنطي مرحلتين [٣]. وبذلك تحدد موقعها في شمالي المغرب الأقصى، لكننا نظل في حاجة إلى إيضاح موقعها بصورة أدق، لاسيما فيما ورد من أقوال المؤرخين والجغرافيين بصدده.

فمنهم من يرى [٤]، أنها تقع في السوس الأدنى، أو أنها تقع ضمن بلاد الهبط ومن أول مدنه [٥]، كذلك تقع في إقليم طنجة [٦] أو بلاد غُمارة الواسعة

---

(١) الأصطخري، المسالك والممالك، الذخائر، عدد ١١٩، القاهرة ٢٠٠٤، ص٣٤، والفرسخ يساوي ثلاثة أميال، انظر، محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية، القاهرة ١٩٨٥، ص ٣٠١. ومعنى ذلك أن المسافة تقدر بحوالي ٥٨كم، بينما يذكر أحد المحدثين الذي عاين بقايا المدينة المندثرة، أن المسافة بينها وبين طنجة حوالي ١٠٠كم، انظر، ابن الآبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٨٥، تعليق للمحقق جا، ص١٣١ هامش ١.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص ٢٣٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، لبنان ١٩٨٤، الطبعة الثانية ص١٧٦.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق دي خويه ودوزى، ليدن ١٨٦٤، ص٧٨.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة ١٩٩١، صفحات ٢١٩-٢٤٦. يذكر أن البصرة في كوره السوس الأدنى وفاس قصبتها ومن مدنه زلول وسوق كتامي، كما يذكر البغدادي أن البصرة تقع قرب السوس، انظر، مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت ١٩٩٢، ص٢٠١.

(٥) البكري، المغرب، ص١١١.

(٦) الاصطخري، المسالك ص ٣٤.

الامتداد [١]. ولمعرفة إلى أيهم تنتمي، فلابد من تحديد المواقع السابقة، ثم موقع المدينة من المدن المحيطة بها، وأخيرا ما أورده المحدثون من تعليقات.

يقع السوس الأدنى في المنطقة الواقعة وراء طنجة، كما يفهم من رواية ابن عبد الحكم [٢]، أما بلاد الهبط فتقع جنوبي جبال الريف [٣]، كما تقع طنجة على الشريط الساحلي، وتقع بلاد غُمارة في شمالي المغرب الأقصى جنوبي تطوان. [٤]

ولعل هذا القرب أدى إلى هذا التداخل، فيذكر ابن حوقل [٥]، "بلاد الهبط والسواحل وأرض طنجة"، وقد استعمل كلمة الهبط للدلالة على الإقليم الشمالي الغربي من المغرب الأقصى. الذي يشمل طنجة والبصرة وما حولها [٦]، كما يتضح التداخل أيضا بين غُمارة وطنجة عند البكري [٧]، وكذلك أدخل الإدريسي. [٨] طنجة ضمن بلاد الهبط التي جعلها ابن خلدون [٩] ضمن بلاد غُمارة الواسعة الامتداد.

---

(١) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٧٩، جـ٦ ، ص ٢١٠ .

(٢) فتوح مصر. والمغرب، حققه وقدم له على محمد عمر، القاهرة ١٩٩٥، ص٢٣٢كما حدد صاحب القرطاس حد السوس الأدنى من وادي ملوية إلى وادي أم الربيع، انظر، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٢، ص ١٩.

(٣) تقع بلاد الهبط جنوبي نهر ورغة وتنتهي شمالا على المحيط، وتتاخم من الغرب مستنقعات أزعار والمقصود بها مستنقعات نهر لقس، انظر، الحسن بن الوزان، وصف أفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حجي ومحمد الأخضر، بيروت ١٩٨٣، صفحات ٣٠٥،٣٠٦،٣١١.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢١٠؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية ١٩٧٩، جـ١، ص٧٠.

(٥) صورة الأرض، بيروت ١٩٩٢، ص١٠٠.

(٦) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب، ص ٣٦.

(٧) المغرب، ص١١٠.

(٨) نزهة المشتاق، صفحات ١٦٨ - ١٦٩.

(٩) العبر، جـ٦، ص٢١٠، يذكر منها جبال غُمارة ببلاد الريف التي تمتد حتى فاس.

أما عن المدن المحيطة بمدينة البصرة ، فمنها مدينة جنيارة الواقعة على الطريق بين طنجة وفاس [١]، ومدينة تُشمس التي تقترب من البصرة في جهة مدينة أصيلا [٢]، فضلا عن موقعها من أصيلا وسلا وفاس كما ذكرنا، إضافة إلى وقوعها بالقرب من أصيلا والعرائش. [٣]

وفيما يخص تعليقات المُحدثين، فمنهم من يرى [٤]، أن مفهوم السوس قد تحدد بشيء من الدقة عند الرحالة العرب الذين يميزون عادة بين كورة السوس الأدنى ومدينتها طنجة وكورة السوس الأقصى. ومدينتها طرفانة. ومن يرى [٥]، أن منطقة الهبط عند البكري يُعني بها سهول غُمارة الغربية، كما علق أحدهم [٦] بما يفيد أن البكري استعمل مصطلح عدوة وجعل البصرة ضمن بلاد الهبط، وهذا الإقليم يعرف تاريخيا بإقليم طنجة ويطلق عليه إقليم الهبط. كما أطلق [٧] بعض المؤرخين اسم هبط غُمارة على إقليم الهبط، وذلك لأن معظم سكانه من قبائل غُمارة.

---

(١) وهي حصن كبير يعرف بالجبل الأشهب، وهي على مقربة من فاس، انظر البكري، المغرب، ص ١١١؛ الحميري، الروض المعطار ص ١٧٦.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨٠.

(٣) عبد الواحد ذنون طه، تاريخ المغرب العربي، بنغازي ٢٠٠٤، ص ٢١٨.

(٤) إبراهيم القادري بوتشيش، علاقة الخلافة الإسلامية بمنطقة سوس أبان عصر الولاة، قراءة وملاحظات، فصلة من ندوة عن أغادير ١٩٩٠، ص ٤٨.

(٥) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت ١٩٨٣، ص٩٤.

(٦) أحمد الطاهري، إمارة بني صالح في بلاد نكور، فصول منسية من تاريخ المغرب، الدار البيضاء ١٩٩٨، ص١٨.

(٧) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب، جـ١، ص٣٦؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٥.

تأسيسا على ما سبق، لما كان إقليم طنجة يشتمل على الشريط الساحلي ثم منطقة الريف الجبلية وكذلك السهل الواقع جنوبي جبال الريف المعروف بإقليم الهبط ، وكانت بلاد غُمارة أيضا ببلاد الريف، لذا نرى أن مدينة البصرة تقع في السوس الأدنى بإقليم طنجة اعتمادا على ما ذكره الاصطخرى وابن حوقل [١] الذي استعمل الهبط للدلالة على الإقليم الشمالي الغربي من المغرب الذي يشتمل على طنجة والبصرة وما حولها.[٢] وقد أسفرت عمليات البحث المختصة بالآثار عن أن مدينة البصرة تقع عند سفح جبال الريف،وتبعد عن شاطئ الأطلنطي بحوالي ٤٠ كم في الطريق بين فاس وطنجة وأنها ممتدة بين تلين وتحيط بها سفوح جبال الريف من الشرق والجنوب،ويحدها شاطئ الأطلنطي من جهة الغرب.[٣]

إنشاء مدينة البصرة :

كما نجد اختلافا أيضا حول تاريخ إنشاء مدينة البصرة ، فمن يرى [٤]، أنها مدينة أزلية، ومن يرى [٥]، أنها محدثة، فضلا عمن يربط إنشاءها بإنشاء مدينة أصيلا عام ٢٢٩هـ /٨٤٣م، أو قريبا منها [٦] وكذلك أنها بنيت على يد محمد بن إدريس [٧] ، بينما يربط أحد الدارسين [٨] إنشاء المدينة بحفدة إدريس

(١) المسالك والممالك، ص٣٤؛ صورة الأرض، ص ٨١. فعندما يذكر مدينة طنجة يذكر عدة مدن مثل زلول وتشمس والأقلام والبصرة ويقول: "هذا الصقع المذكور إقليم طنجة".

(٢) انظر، الخريطة، ملحق رقم ١.

(٣) انظر:

Benco, N, Al-Basra in historical archaeological perspective, in Anatomy of Al. Basra p.3.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ١ ، ص١٠٣ .

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص١٠٨ .

(٦) البكري، المغرب، صفحات ١١٠-١١١

(٧) الحسن بن الوزان، وصف أفريقيا، ص٣١٠.

(٨) الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، الدار البيضاء ١٩٨٦، ص١٦٤.

بعد أن أجلاهم موسى بن أبي العافية [١] من مدينة فاس، حتى أننا نجد التباين عند المؤرخ الواحد[٢]، الذي يذكر في موضع أنها أزلية ، ثم يحدد تاريخ إنشائها مع الأدارسة في موضع آخر .

ولمناقشة ما سبق، نرى أن مدينة البصرة لم تكن مدينة أزلية، لأن المصادر خلو تماما من ذكرها في مرحلة الفتح الإسلامي وما بعدها، كما أن هذه التسمية ارتبطت بالعصر الإسلامي، فضلا عن ارتباط وجودها في المصادر بفترة حكم الأدارسة.

وعن تحديد تاريخ إنشاء المدينة في عام ٢٢٩هـ/٨٤٣م، فغير مقبول أيضا، لأن المصادر ذاتها التي ذكرت هذا التاريخ تجمع على أن مدنية البصرة كانت موجودة قبله، حيث كانت من بين المدن التي قسمها محمد ابن إدريس عام ٢١٣هـ/٨٢٨م على إخوته [٣]، كما تذكر في مقدمة المدن التي شملها التقسيم عند كثير من المؤرخين، وهذا يدل على أهميتها وقدم وجودها قبل قرار التقسيم بفترة [٤].

ولعل ارتباط تاريخ إنشاء مدينة البصرة مع مدينة أصيلا، يرجع إلى سبب اقتصادي؛ لأنها كانت في الأصل رباطا ثم تحولت إلى سوق لتجار المغرب الأقصى والأندلس [٥] حتى عمرت من خلال تعاون التجار، لذا كان لابد من

---

(١) وهو من مكناسة، وكان هو ومصالة بن حبوس من رؤسائها في المائة الثالثة وكانت بينهم وبين الأدارسة حروب، وأصبحوا شيعة عبيد الله المهدي، انظر ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٣٤.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ١، صفحات ١٠٣، ٢١١.

(٣) البكري، المغرب، ص١٢٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ١، ص١٠٣.

(٤) يذكر ابن عذاري عند حديثه عن قرار التقسيم عام ٢١٣هـ/٨٢٨م، أنها كانت قبل مدينة كبيرة، انظر، البيان، جـ١ ، ص ١٠٣ .

(٥) البكري، المغرب، صفحات ١١٢-١١٣؛ ابن عذاري البيان، صفحات ٢٣٢-٢٣٣؛ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، القاهرة١٩٨٨، جـ١، صفحات ٩٦-٩٧.

وجود حلقة اتصال بين أصيلا الواقعة على الساحل الغربي بداخلية البلاد، وإذا كنا نميل إلى ذلك مع عدم قبولنا لتاريخ الإنشاء، فربما يكون هذا التحديد بسبب الموقع القريب بين المدينتين، خصوصا أن البكري لم يجزم بإنشاء مدينة البصرة في هذا التاريخ ويقول: "أو قريبا منها".

أما ما قيل بشأن إنشائها مع دخول ابن أبي العافية مدينة فاس، فهذا يفيد بأن المدينة أنشئت في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بسبب دخوله مدينة فاس عام ٣٠٥هـ/٩١٧م[١]، صحيح أنه عول على إنشائها لهدف سياسي ربما لتكون عوضا للأدارسة عن فاس، لكن ما ذكره يتعارض مع كل ما أسلفناه، خصوصا أنه لم يذكر المصدر المعتمد عليه، ومع ذلك لا يخلو هذا الرأي من وجاهة.

ولعل الذي أوقع المؤرخين في هذا التباين قيام الأدارسة بإنشاء عدة مدن لم تذكر البصرة من بينهم، لكن ارتباط هذه المدينة بعصر الأدارسة، يجعلنا نميل إلى أنها بنيت معهم[٢]، لاسيما أن تسميتها بالبصرة ترجع إلى أصل مشرقي[٣]، أو بسبب تواجد تجار بصريين فيها عند إنشائها، وهذا ما لم نقف عليه، مع علمنا بتوافد التجار

---

(١) كانت فاس حتى هذا التاريخ تحت حكم العبيدين، وكان عليها ريحان الكتامي الذي ولاه مصالة بن حبوس، كما كان شأن ابن أبي العافية آنذاك، انظر ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص١٣٤.

(٢) من هذه المدن إضافة إلى فاس وأصيلا، أنشئت مدينة حجر النسر عام ٣١٧هـ/٩٢٩م التي أسسها في غمارة إبراهيم بن محمد بن القاسم، ومدينة الأقلام التي بناها يحيى بن إدريس، ومدينة جراوة التي بنيت على يد أبي العيش عيسى بن إدريس عام ٢٥٧هـ/٨٧٠م، انظر، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨١؛ البكري، المغرب، ص١٢٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ١ ، ص ١٩٦.

(٣) ذكر البعض أنها سميت البصرة تخليدًا للبصرة في المشرق حيث قتل الجد الأعلى لإدريس، انظر، الحسن بن الوزان، وصف أفريقيا، ص٣١٠.

العراقيين من الكوفة والبصرة إلى تاهرت وفاس وسجلماسة، كما تذكر المصادر[١] تواجد هؤلاء التجار، لاسيما البصريين في مدينة فاس مما يرجح تواجدهم في المكان الذي أنشئت فيه البصرة ، كما ارتبط الإنشاء مع الأدارسة الذين اهتموا بهذه المدينة لوقوعها على طريق فاس، فضلا عما تميزت به المدينة من موقع متوسط للمدن المحيطة بها من ناحية، ولاقترابها من المدن الساحلية من ناحية أخرى .

لكن مما يؤكد ارتباط إنشاء هذه المدينة قبل هذه التواريخ السابقة بفترة، وجود درهم ضرب بمدينة البصرة عام ١٨٠هـ/٧٩٦م[٢]، لذا يرى البعض أن المدينة أنشئت مع إدريس الثاني قريبًا من هذا التاريخ [٣]، ولعل الوقوف على مادة جديدة سوف تجعلنا نحدد تاريخ الإنشاء بالضبط، أما السبب في الإنشاء، فيرجع إضافة إلى ما ذكرناه إلى موقعها الاستراتيجي المهم، لاسيما أنها أنشئت في موقع مدينة رومانية قديمة في منطقة توفرت فيها كل المعطيات للحياة المدينية.[٤]

عمران المدينة:

ويبدو ازدهار مدينة البصرة فيما ذكرته المصادر في وصف عمرانها، ومنها "أنها مدينة كبيرة واسعة [٥]. بينما يذكر ابن حوقل أنها مدينة مقتصدة، ولعل وصفه يتفق ومساحتها المتوسطة [٦]، ولها سور وعشرة أبواب وبها

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٥. ولعل ذلك يرجع إلى أن تجارة الذهب والرقيق تجاوزت الغرب الإسلامي إلى المشرق، حتى تكالب التجار المشارفة عليها، واستقرت جالياتهم في مدن المغرب، انظر، محمود إسماعيل، سوسيولوجيا، جـ٢، ص٤١٤.

(٢) انظر، Eustache, Corpus, pp.119-120.

(٣) انظر، Eustache Corpus, p.118.

(٤) تسمى هذه المدينة Tremulae، انظر Terrasse, Histoire du Maroc, Casablanca, 1975, p.61

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ١، صفحات ١٠٣، ٢٣٢.

(٦) صورة الأرض، ص ٨١؛ وصلت مساحة مدينة البصرة ٣٥هكتار.

انظر:

Benco, N, Al-Basra in historical archaeological perspective, in Anatomy of Al. Basra, p.3

قلعة [١]، ولجامعها سبع بلاطات، وبها حمامان كبيران، فضلا عن مقبرتين "[٢]، وشرب أهلها من بئر عذب على باب المدينة يعرف ببئر أبي ذلفاء [٣]. كما يذكر المقدسي [٤]: "أن قسطيلية نظيرة البصرة ، ومن أراد أن يرى بلدا مثل البصرة ، فلينظر إلى قسطيلية، مثلها في رخص التمر وكثرة الماء".

وهذه المعلومات الواردة عن مدينة البصرة ترجع في معظمها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، سواء فيما نقل عن الوراق أو من خلال رحلة ابن حوقل وغيره، وهذه الإشارات السابقة تبين وصول المدينة إلى درجة عالية من العمران، حتى يذكر الحسن بن الوزان [٥]، "أنها كانت مقرا صيفيا للأدارسة وكان بها قصورهم، كما أن ضواحيها كانت جميلة سواء في الجبل أو في السهول"، ويضيف أنها كانت متحضرة طوال حكمهم.

ويرجع ذلك إلى ما توفر للمدينة من مصادر المياه واعتدال الهواء وجمعها بين الجبال والسهول، ومع ذلك فالمعلومات الواردة عنها لا تشفي الغليل، فبرغم ما تذكره المصادر عن اتساعها، فلا نستطيع أن نتعرف على تقسيماتها الإدارية وأسماء ضواحيها، إلا ما يذكر عن بياتة التي يقال إنها قرية من قرى البصرة . [٦]

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣١.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨١؛ المقدسي أحسن التقاسيم، ص٢٣٠؛ البكري، المغرب، ص١١٠.

(٣) البكري، المغرب، ص ١١٠.

(٤) أحسن التقاسيم، ص٢٣٠، وقسطيلية اسم لعمل بلاد الجريد، وهي بلاد واسعة ومدن عديدة، فيها النخيل والزيتون، ومن مدنها توزر والحمة وتقيوس، ومدينتها العظمى توزر، الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٠.

(٥) وصف أفريقيا، ص٣١٠ .

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص١١٩، بينما يذكر صاحب الاستبصار نشر وتعليق سعد زغلول، الكويت ١٩٥٨، ص١٨٩، أن قرية بياتة قرية عامرة ويربطها بمدينة كُرت الواسعة الحصينة التي تسكنها قبائل من البربر يقال لهم بياتة ثم يقول: "ومنها إلى مدينة البصرة".

التاريخ السياسي:

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن التاريخ السياسي لمدينة البصرة ، سواء فيما يرتبط بالأحداث الداخلية لدولة الأدارسة أو بالعلاقات الدولية خلال الصراع الفاطمي الأموي، ومدى تأثر أو تأثير مدينة البصرة بهذه الأحداث يجعلنا نقف على حجم دورها.

وأول ما يصادفنا ما تم بعد وفاة إدريس الثاني عام ٢١٣هـ/٨٢٨م، وقيام محمد بن إدريس بتقسيم دولة الأدارسة بين أخوته برأي جدته كنزة، وتذكر بعض المصادر [١]، أن القاسم تولى البصرة وطنجة وما يليها، بينما يرى آخرون[٢]، أن البصرة وأصيلا والعرائش إلى بلاد ورغة كانت ليحيى، وبناءا على ذلك اختلف المحدثون [٣] أيضا فيمن تولاها، وأهمية تحديد ذلك ليس فقط للتحقق من هذا الأمر، لكن أيضا، لأن هذا التحديد سوف تترتب عليه الأحداث التاريخية اللاحقة.

ومن اللافت للنظر أن المصادر التي ربطت بين القاسم ومدينة البصرة أوردت معلومات تبين أنها كانت من نصيبه، لاسيما البكري، وابن الآبار، أما ابن عذاري، فبرغم ما يورده عمن تولى البصرة خلال حكم الأدارسة من أولاد القاسم، فإنه عندما يذكر التقسيم لا يذكر البصرة ، بل يقول: "أعطى القاسم طنجة وما يليها" [٤]، ولعل ذلك يرجع إلى اعتماده على مصدرين

---

(١) البكري، المغرب، ص١٢٤؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢١٦.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥١؛ السلاوي، الاستقصا لمعرفة دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، الدار البيضاء ٢٠٠١، جـ٢، ص٤٣.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب، ص٤٥٩؛ محمود إسماعيل، الأدارسة – حقائق جديدة، القاهرة١٩٩١، ص ٧٩؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٤، ص٢٩ .

(٤) البيان، جـ١، ص٢١١.

مختلفين جعله يأتي أحيانا بأخبار مقتضبة أو مفصلة وأحيانا مختلفة. ومع ذلك فإننا نرى أن القاسم هو الذي تولى مدينة البصرة ، لاسيما أن الأخبار اتفقت في معظمها، فضلا عن سير الأحداث التاريخية فيما بعد وارتباط القاسم وبنيه بهذه المدينة في الغالب.

وترتب على هذا التقسيم اتجاه بعض الأخوة إلى الاستقلال [١]، فثار عيسى على أخيه، فكتب محمد إلى القاسم يأمره بمحاربته، فامتنع، ولعل اختيار القاسم يرجع إلى قرب المسافة بين البصرة وسلا التي ثار فيها عيسى [٢]. وأما الامتناع فربما يخفي وراءه أمر آخر، ألا وهو أن القاسم حبذ ما قام به عيسى، ومال أيضا إلى الاستقلال بالبصرة وأصيلا، حيث أقطع أبناءه المدن [٣]، وطمع في إسقاط كافة الكيانات الإدريسية بالمغرب الأقصى [٤]، مما يبين أن أمر محمد إلى أخيه عمر بمحاربة القاسم كان بسبب خروجه عليه أيضا، وليس لامتناعه فقط عن تنفيذ أوامره.

وتذكر المصادر أن المعارك دارت على مقربة من طنجة، فلعلها شملت أيضا أرض البصرة ، خصوصا أن القاسم سار بعد الهزيمة إلى ساحل المحيط قرب أصيلا فزهد وبني مسجدا ورباطا، كما أن عمر تغلب على ما كان بيد القاسم ومنها البصرة ، ولعل بيت القاسم استرد ممتلكاته مما يبين عن الصراع الأسري داخل البيت الإدريسي.[٥] فقد تولاها إبراهيم بن القاسم لمدة أربعين

---

(١) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص ٨٧.

(٢) فكان القاسم يحاذي عيسى في البلد، لأنه تولى على أزمور وسلا، انظر، البكري، المغرب، ص١٢٤.

(٣) البكري، المغرب، ص١٢٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣٥.

(٤) عبر أحد الشعراء عن طموحات القاسم بن إدريس، وهو يهجوه، انظر، البكري، المغرب، ص١٢٤، محمود إسماعيل، الأدارسة، صفحات ٨٧-٨٨.

(٥) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢١٦.

عاما، ويشير ابن عذاري [١] أيضا إلى أن بني القاسم استقلوا بالبصرة وأصيلا. وظلت البصرة في بيت القاسم يتولاها بنوه [٢] مما يبين استقلالها عن مدينة فاس كغيرها من المدن، بسبب أتباع نظام اللامركزية، فمع تبعيتها لحكومة فاس، كانت هذه المدن لها صلاحيات إدارية وعسكرية [٣]. ولعل ما يذكره ابن الآبار[٤] يوضح هذه التبعية، فذكر: "فأما محمد فولي مدينة فاس بعد أبيه وقسم عمل أبيه على أخوته وأخرجهم عمالا". ولعل ذلك يفسر أنه كان استقلالا في حدود التبعية الاسمية لحكومة فاس، أو أن نظام اللامركزية قد ساعد على الاتجاه إلى الاستقلال الذي تحقق تدريجيا.

كما لعبت مدينة البصرة دورًا سياسيا ارتبط بعلاقة دولة الأدارسة ببرغواطة، وظهرت البصرة قرينة لمدينة فاس، فيذكر ابن حوقل [٥]: "وكان أهل فاس والبصرة يغزونهم في بعض الأوقات ويسالمونهم ويجلبون إليهم التجارات على ما يراه ولاتهم"، وهذه العبارة تفيد بتراوح العلاقة بينهما بين العداء والمسالمة، وتوضح أيضا دور مدينة البصرة مع مدينة فاس، فلعل السبب في هذه التوأمة يرجع إلى قرب البصرة من فاس وبرغواطة، لكن إلى أي حد انعكس اشتراك البصرة في حالتي الحرب والسلم مع حاضرة الأدارسة على الصعيد الدولي؟

والإجابة عن هذا التساؤل سوف نتبينه من دور البصرة فيما نشأ من صراعات حول المغرب الأقصى بين الفاطميين والأمويين، لاسيما أن عبارة: "على ما يراه ولا تهم" وارتباط رحلته بالفترة محل الصراع، وإشارة ابن

(١) البيان، جـ١، ص ٢٣٣.
(٢) ابن عذارى، البيان، جـ١، صفحات ٢٣٣، ٢٣٥؛ انظر، ملحق رقم (٢).
(٣) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص٨٠.
(٤) الحلة السيراء، جـ١، ص١٣٣ .
(٥) صورة الأرض، ص٨٣.

خلدون[١] ضمنيا إلى ذلك، يوضح هذا التأرجح، أو لأن هذا الدور تجاه برغواطة كان موجودا قبل ذلك، خصوصا أن العداء السياسي بين الأدارسة وبرغواطة أخفى الأطماع الاقتصادية المتبادلة [٢].

وبخصوص العلاقة بين الأدارسة وأموي الأندلس فقد بدأت منذ عهد الأمارة الأموية حيث قامت على حبك المؤامرات والكيد والتجسس وتشجيع الثائرين [٣]. وبدأ دور البصرة حين لجأ الثائر عمر بن حفصون [٤] إلى الأمير الإدريسي- إبراهيم بن القاسم صاحب البصرة ، وطلب منه المؤازرة، وكانت بينهما مكاتبات ومراسلات على أن يقيم الخطبة له [٥].

ولعل وجود الأندلسيين بالبصرة ساعد على الاتصال بعمر بن حفصون، كما كان قرب ابن حفصون من العدوة المغربية، وافتقاره إلى حليف قوي، كذلك المكانة التي احتلتها البصرة آنذاك، لأنها مثلت قاعدة قوية للأدارسة من خلال سيطرة إبراهيم عليها وعلى ما جاورها سهل هذا الاتصال. [٦]

---

(١) "وكان لملوك العدوتين في غزو برغواطة أثارا عظيمة من الأدارسة والأمويين والشيعة"، انظر، العبر، جـ٦، ص٢٠٨.

(٢) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص١٣٢، ١٣٥.

(٣) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص١٥٣.

(٤) وهو من المولدين، بدأت ثورته عام ٢٦٧هـ/٨٨٠م، حين استولى على حصن روماني قديم في أعلى الجبال الجنوبية، وهو حصن بيبشتر، ومن هناك أخذ يبسط نفوذه على البلاد المجاورة حتى اقترب من قرطبة، وظلت ثورته تؤرق الإمارة الأموية طيلة نصف قرن، وتطلب إخمادها أربعة من أمراء بني أمية، وهم محمد والمنذر وعبد الله وعبد الرحمن الناصر، الذي قضى عليها عام ٣٠٥هـ/٩١٧م، انظر، محمد عيسى الحريري، حركات المولدين في الجنوب الأندلسي- في عصر الإمارة الأموية ٢٦٧هـ/٨٨٠م- ٣١٦هـ/٩٢٩م، الإسكندرية ١٩٨٥، ص٧١.

(٥) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٧٧ ، ص٥٠.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص ٣٣٦ .

وكان رد الفعل الأموي من قبل الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م، كما يفهم مما أورده ابن حيان [١]، فعمل على إحكام العلاقات مع الدول المجاورة للأدارسة وتطويقها وتهديد مصالحها الاقتصادية بعدم الاتجار مع أمير البصرة ، مع حرص الأمير الأموي أيضا على الوقوف على أخبار الساحل والعدوة.

وبظهور الفاطميين في المغرب في الوقت الذي تدهورت فيه أحوال الأدارسة، دار الصراع بين الفواطم والأمويين في المغرب الأقصى، وتعرضت فيه البصرة للخطرين معا مثل فاس وبلاد غُمارة وحجر النسر. وسواحل المحيط، لأن وجودهم الغير قاري أدخلهم ضمن ميدان الصراع في المنطقة الحيوية التي تنازع عليها الطرفان [٢] .

وتمحور الصراع بينهما على السيطرة على مناطق تسويق الذهب بالسودان الغربي، فضلا عن طرق التجارة البرية والبحرية، لذا ظهر الصراع واضحا في المغرب الأقصى. لتمتعه بشبكة من الطرق والمسالك برزت أهميتها في ربط أقاليمه المختلفة وسهلت الاتصال بين مدن الريف في أقصى. الشمال بمدن الإقليم الجنوبي [٣] ولوقوع مدينة البصرة في شبكة الطرق هذه، خصوصا أهم طريق يصل إلى فاس [٤]. وباعتبارها واحدة أيضا من أهم طرق الحراسة على هذا الطريق وتشاركها مدينة أصيلا، لذا سوف تكشف أحداث الصراع على

(١) المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، صفحات ٢٦٦-٢٦٧؛ محمود إسماعيل، الأدارسة، ص١٥٦.

(٢) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص١٦٠.

(٣) فتحي زعروت، العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الأفريقي، القاهرة ٢٠٠٦، صفحات ١٧٦،١٨٩. وهو الطريق الذي يربط بين طنجة وفاس، انظر، البكري، المغرب، ص ١١١.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٩٠؛ البكري، المغرب، صفحات ١١١،١٥٤.

حرص كل منهما على الاستيلاء على هذا الطريق والمدن الواقعة عليه، وإدخالها في الطاعة، يضاف إلى أهميتها اشتهارها بالكتان الذي كانت تستخدمه الأندلس في صناعة الملابس [١].

وما يهمنا من أحداث هذا الصراع، الذي اهتم به كثير من المؤرخين، وكانت فيه دولة الأدارسة تارة مع الفاطميين وأخرى مع الأمويين، هو اشتراك مدينة البصرة وموقعها من الأحداث للوقوف على دورها إيجابا وسلبا.

فبعد دخول حملة مصالة بن حبوس المغرب الأقصى عام ٣٠٥هـ/٩١٧م، واستيلائها على مدينة فاس، وتولية موسى بن أبي العافية على سائر نواحي المغرب [٢] ظهر دور البصرة كمركز لتجمع الأدارسة، فبعد هزيمة الأمير الإدريسي يحيى بن إدريس على يد مصالة عام ٣٠٧هـ/ ٩١٩م، في حملته الثانية واستصفاء أمواله وخروجه من عمله، لحق ببني عمه بالبصرة والريف. [٣]

فهل معنى ذلك أن البصرة خضعت للفاطميين وظل أميرها الإدريسي بها، كما حدث بفاس قبلا، أم أنها كانت مركزا للأدارسة فقط؟ من الواضح أن البصرة وقعت تحت حكم الفواطم [٤]، لأنه تم تولية سعيد غلام المظفر من قبل مصالة [٥]، لكن كما بينا أن أمراء البيت الإدريسي كانوا موجودين بمدنهم [٦]

---

(١) فتحي زعروت، العلاقات بين الأمويين والفاطميين، صفحات ٢٠١-٢٠٢.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٣٤؛ السلاوي، الاستقصا ، جـ٢، ص٦٥.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٣٤.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٨٣؛ ابن الخطيب كتاب أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، بعنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضاء ١٩٦٤، ص٢١٣.

(٥) ابن عذاري البيان، جـ١، صفحات ٢٧٦،٢٣٥.

(٦) ظل يحيى بن إدريس بمدينة فاس في طاعة المهدي الفاطمي، انظر، البكري، المغرب، ص١٢٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة ٢٠٠٥، جـ٥، ص١٨٢.

حتى أن يحيى لجا إليها بوصفها أقرب المدن إلى فاس.

عاد المغرب الأقصى إلى الأدارسة مع ظهور الحسن بن محمد بن القاسم المعروف بالحجام بعد ثورته على ريحان عامل فاس من قبل الفاطميين عام ٣٠٩هـ/٩٢١م، فدخلها على حين غفلة، واستولى عليها وملك عدة مدن منها البصرة [١] التي تولاها كما يذكر ابن عذاري [٢]، فهل تم هذا بعد انتصاره واسترداد المدن التي كانت تحت يد ابن أبي العافية، أم أن التملك والولاية كانتا سابقتين على ذلك؟، يذكر البكري [٣] أن بعد هزيمة يحيى بن إدريس صار ما كان بيده من البلدان إلى ابن أبي العافية والحجام، وهذا معناه أن مدن الأدارسة وعلى رأسها مدينة فاس خضعت للفاطميين، كما أسلفنا وتم إعطاء البصرة وغيرها للحجام التي كانت معقلا للأدارسة مع تبعيتها للفاطميين، وبذلك سيطر الحجام على الجزء المركزي من المغرب الأقصى [٤].

وإذا كان ابن أبي زرع [٥]، يذكر أنه بعد انسحاب مصالة بن حبوس، تمكن الحسن الحجام من استرداد مدينة فاس، ثم استعان بقبائل البربر الناقمة على الفاطميين ليمد نفوذه إلى البصرة وأصيلا، فلعل ذلك سابق على هزيمة ريحان عامل الفاطميين، وأن ما ذكره البكري تلاه، وأتاح له التقسيم الدخول على حين غفلة إلى مدينة فاس.

---

(١) ثار الحجام على ريحان الكتامي بمدينة فاس عام ٣٠٩هـ /٩٢١م، وظل عامين بها، كما يذكر البكري، انظر، المغرب، ص ١٢٦، أما ابن عذاري فيذكر أن ذلك كان عام ٣١٣هـ/٩٢٥م، ويتفق معه ابن خلدون، انظر، البيان ،جـ١ ، ص٢٣٥ ؛ العبر ، جـ٦ ، ص١٣٤ .

(٢) البيان، جـ١، ص ٢٣٥.

(٣) المغرب، ص١٢٦ .

(٤) انظر:

Mercier, E, Histoire de L'Afrique septentrionale, Paris 1888, tome 1, p.329.

(٥) روض القرطاس، ص٨١؛ Terrasse, Histoire du Maroc , p.127

وإذا أخذنا بهذا الرأي، لاسيما أن ما أورده المؤرخون يتفق مع تسلسل ولاه البصرة [١] نجد أنه من المعتقد أن الحسن الحجام خرج من البصرة التي كان مقيما فيها باعتبارها معقلا للأدارسة، مستعينا ببربر زناتة الناقمين على الفاطميين ودخل مدينة فاس ثائرا على ريحان، وبذلك بدأ دور البصرة في الظهور على المسرح السياسي، ولعل ذلك جعل بعض المحدثين [٢] يربط بين تاريخ إنشائها وسقوط مدينة فاس كما أسلفنا.

وبرغم هزيمة الحجام، واستيلاء ابن أبي العافية على ممتلكات الأدارسة وإجلائهم إلى حصنهم بحجر النسر.[٣]، وما تبع ذلك من استيلائه على مدينة البصرة وتولية والى من قبله عليها [٤]، فإن دور البصرة بدأ يتبلور، بسبب انقراض دولة الأدارسة بفاس، واستيلاء الأمويين في عهد الخليفة الناصر ٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م، على مدينة سبتة عام ٣١٩هـ/٩٣١م، بعد استمالة ابن أبي العافية حيث يحدد المؤرخون [٥] انفراد دور البصرة السياسي بهذا التاريخ.

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣٥؛ فصار أمر كتامة وأمر البصرة إلى يحيى بن إبراهيم بن القاسم، فاختلفت عليه كتامة، وكان ذلك سبب دخول بني محمد كتامة وهوارة وتلك الناحية، فاستجاشوا بحسن بن محمد المعروف بالحجام، انظر، ابن عذاري، البيان، جـ١، ص ٢٣٣.

(٢) الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ص١٦٤.

(٣) وهي تقع بالقرب من مدينة سبتة انظر، البكري، المغرب، ص١٢٧؛ السلاوي، الاستقصا، جـ٢، ص١٠٧.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣٥.

(٥) مجهول، تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر، تقديم وتحقيق محمد زينهم محمد عزب، القاهرة ١٩٩٨، صفحات ١٦-١٧.

وعلى أثر الصراع بين الأمويين والفاطميين، خرجت حملة ميسور الفتى من قبل الفواطم عام ٣٢٣هـ/٩٣٤م. فأجلى ابن أبي العافية إلى الصحراء [١] وظل التواجد الأموي والفاطمي في مدينة البصرة ، ويتضح ذلك من إحدى رسائل ابن أبي العافية للخليفة الناصر في نفس العام يطالعه بأخبار الفواطم وتواجد عيون لهم في الأسواق بديار المغرب وفاس والبصرة . [٢]

ولعل انشغال القوتين بمشاكلهم الداخلية أعطى الفرصة للقاسم كنون[٣] في إقامة دولة الأدارسة التي شتت شملها قواد الفاطميين، فحارب ابن أبي العافية الذي فر أمامه [٤]، ولعل تلك الأحداث قد أسفرت عن قيام كيانات إدريسية، فيرى البعض [٥]. أنه منذ سقوط الحجام، أصبحت دولة الأدارسة عبارة عن مجموعة من الكيانات التي تحكم المدن وأمارات مجهرية ذات طابع قبلي، منها إمارتان منفصلتان متنافستان.

هذه الكيانات لم تقم مباشرة بعد هزيمة الحجام، لكن يتضح من النصوص أنه عقب حملة ميسور شارك البيت الأدريسي في إجلاء موسى ابن أبي العافية، وأن الرياسة أصبحت لبني محمد بن القاسم [٦]. والإمارة الإدريسية التي أقامها القاسم كنون كانت قاعدتها بحجر النسر، حيث ملك

(١) ابن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام القسم الثالث، صفحات ٢١٣-٢١٤؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ١٣٥.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص١٦٩.

(٣) هو القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس، صارت الرياسة له ولأخيه إبراهيم، فاجتمع بنو إدريس وبايعوا القاسم، انظر، السلاوي، الاستقصا، جـ٢، ص٩٢.

(٤) البكري، المغرب، ص١٢٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣٥.

(٥) بوزياني الدراجي، سلسلة العصبية القبلية في دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، الجزائر ٢٠٠٢، جـ١، ص١٥٨-١٦٠، والإمارة الثانية أقامها بنو عمر بن إدريس في جهات تيفاش وطنجة من بلاد غُمارة.

(٦) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢١٧.

أكثر بلاد المغرب إلا فاس، واستعاد البصرة وأصيلا من الفاطميين عام ٣٢٦هـ/٩٣٧م[١].

لكن هذه الإمارة لم تكن مستقلة، خصوصا منذ عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م، بل كانت تنضوي تحت لواء المتغلب على المغرب من الفاطميين والأمويين [٢]، فبعد وفاة القاسم حل محله ابنه أبو العيش الذي تولى البصرة بعد ضمه لمدينة فاس، لكن بعد تنازله عن مدينة طنجة للخليفة الناصر عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م [٣] تقلصت هذه الإمارة وبقى مع أخوته وبني عمه من الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلا [٤] في طاعة الناصر، الذي كان على حد قول ابن حوقل [٥] : "يحافظ عليهم مرة ويسوقهم بالعصا مرة أخرى" وكانت جيوشهم تجيز الأندلس إلى العدوة يقاتلون من يخالف الأدارسة [٦] .

ومن هنا يتضح لنا أن هذه الإمارة الإدريسية أخذت شكلا مغايرا لما كانت عليه، حيث تقلص نفوذها واتخذت عاصمة جديدة، آلا وهي مدينة البصرة [٧]. ويطالعنا ابن الخطيب [٨] بنص يفيد بتملك يعلى بن محمد اليفرني مدينة البصرة وغيرها قبل حملة جوهر الصقلي عام ٣٤٧هـ/٩٥٨م، وهذا أمر

---

(١) السلاوي، الاستقصا، جـ٢، ص٩٣.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، صفحات ٢١٦- ٢١٧؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى عهد الناصر، القاهرة ١٩٦٠، القسم الثاني ص٢٤٨ وما بعدها.

(٣) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢١٨.

(٤) مجهول، مفاخر البربر، صفحات ١٦-١٧، السلاوى، الاستقصا، ص٩٧.

(٥) صورة الأرض، صفحات ١٠٠، ١٠١.

(٦) مجهول، مفاخر البربر، ص ١٧.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٩٥؛ Mercier, Histoire de LA'frique,1, p.360

(٨) أعمال الأعلام، القسم الثالث، صفحات ١٦٤، ٢٢٠.

مقبول لكثرة القاطنين بالمدينة من بني يفرن، فضلاً عن دورهم الذي سوف توضحه الأحداث فيما بعد. ومن الملاحظ أن مدينة البصرة ارتبطت بآخر أمراء الأدارسة الحسن بن كنون، لأنه استقل بها في حياة أبيه، فتشير المصادر إلى ذلك، منها "الشريد العاق لأبيه" (١)، أو أنه قام على أبيه. (٢) وبعد توليته عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م، ظل مواليا للأمويين، مما يدل على أن إدارة الإمارة الإدريسية كانت لها حقوق إدارية في إطار التبعية للأمويين، ومع أن البصرة كانت هي قاعدة إمارته، ظلت قلعة حجر النسر المعقل الذي يتحصن به جريا على ما سار عليه الأدارسة الأواخر. (٣) ولعل ذلك يفسر بعض العبارات التي تشير أثناء إمارته إلى وجود أصحاب البصرة ، مثل محمد بن جنون صهره (٤) وعلي بن خلوف وأحمد بن عيسى وغيره، وذلك ارتبط بتحركه منها للحرب كما سيتضح، فكان يولي أحد أفراد البيت الإدريسي أو المقربين منه عليها.

وارتبط خروج الحسن بن كنون من البصرة إلى حجر النسر بخروجه على طاعة الأمويين، فبعد غزوة جوهر الصقلي لبلاد المغرب الأقصى كان ابن كنون أول من بايعه عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م، وقطع دعوة الأمويين، وعندما رجع إلى إفريقية عاد إلى طاعة الأمويين (٥) واستمرت طاعته بعد الناصر لأبنه الحكم

(١) ابن حيان، المقتبس تحقيق حجي، صفحات ٢٢٠، ١٤٢؛ ابن حزم جمهرة أنساب العرب، ص٥٠.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ص ١٢٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٤٧.

(٣) فكان سلطانهم لا يجاوز البصرة وأصبلا وحجر النسر، انظر، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٩٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ص ١٢٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٤٧.

(٥) وفي عام ٣٤٨هـ/٩٥٩م، استولى جوهر على مدينة فاس ونهبها وسبي أهلها وهدم سورها انظر، مجهول، مفاخر البربر، ص١٩.

المستنصر، ولم تكن على حد قول أحد المحدثين [١] "إلا مصانعة ورياء خوفا منهم بسبب وقوع ممتلكاته بالقرب من الأندلس".

ولما كانت رغبة الحسن بن كنون الاستقلال عن الأمويين وقطع الدعوة لهم، لذلك عند ما جاءت حملة بلكين بن زيري عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م، كان أول من أدان له بالطاعة [٢]، مما جعل الخليفة الحكم يرسل بحملة ابن طُملس [٣]. ثم أرسل القائد غالب بن عبد الرحمن في نفس العام، فاتصل خبر قدومه بالحسن بن كنون، فخاف منه وأخلى مدينة البصرة ، وحمل منها حرمه وأمواله وذخائره إلى قلعة حجر النسر واتخذها معقلا ليتحصن به. [٤]

ويتضح دور البصرة خلال هذه الفترة بشكل لافت للنظر، فأصبحت هذه المدينة محور اهتمام الخلافة الأموية، ويبدو ذلك جليا من خلال المكاتبات التي أرسلها القائد غالب إلى الخليفة الحكم المستنصر، نقف منها على سير الأحداث التي ارتبطت بها، منها أن الحسن بن كنون استقل بالبصرة من دون الأمويين، مما أدخله في صراع معهم وأدى إلى إرسال القائد غالب كما ذكرنا [٥].

كذلك أن ابن كنون عند خروجه من البصرة لحرب غالب ترك فيها نائبا عنه، وهو خاله محمد بن عبد السلام الذي كان يستشيره في كل أموره [٦]، ومما يزيد من أهمية هذه المكاتبات، أنها كانت ترسل تباعا إلى الخليفة الحكم أو تنقل له الأحداث باليوم والتاريخ، بسبب قرب المسافة مما يبين أهمية الدور الذي

---

(١) عنان، دولة الإسلام، القسم الثاني، ص٢٤٨.
(٢) السلاوي، الاستقصا، ص١٠٧.
(٣) السلاوي، الاستقصا، ص ١٠٧.
(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق حجي ، ص ١٤١ .
(٥) ابن حيان، المقتبس، ص١٤١.
(٦) ابن حيان، المقتبس، ص ١٤١.

أرسل من أجله وهو حرص الخليفة الأموي على الوقوف على سير الأحداث.

فضلا عن ذلك، فهي تبين أمر مهم، ألا وهو دخول أهل البصرة في الصراع الدائر ووقوفهم بجانب الأمويين، بسبب كراهيتهم لمحمد بن عبد السلام، ولعل هذه الكراهية ترجع إلى أسباب اقتصادية لم ترد في المكاتبات، أو أن ابن عبد السلام اضطر خلال الحرب إلى فرض ضرائب زائدة حتى الجأهم إلى قتله [١]. وبعدها خرج أهل البصرة لملاقاة القائد غالب مثلهم الفرسان والمشاة وشيوخ البصرة . ليعرضوا علية المساعدة للتضييق على ابن كنون، وتأكيدا لذلك حملوا رأس نائبه المقتول، فقابلهم في طريقهم عند سوق كتامة. معنى ذلك أنهم بعد القتل خرجوا لملاقاة ممثل الأمويين يطلبون منه دخول المدينة، معلنين ولائهم له [٢]. وكان هذا من أهم العوامل التي ساعدت الأمويين على دخول البصرة التي فتحت عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م [٣]، فضلا عن دخول ابن كنون في طاعة الأمويين أيضا وعودته إلى الأندلس [٤] بعد ذلك، وبداية من هذا التاريخ انتهى حكم الأدارسة لمدينة البصرة ، فمع دخول القائد غالب وافتتاحه للمدينة كان الأمويون يحكمون بمفردهم؛ حتى تخريبها على يد بلكين كما سنرى.

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ص ١٤٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ص ١٤٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص١٤٢، يذكر أنه تم افتتاحها يوم الأحد الخامس من محرم عام ٣٦٣هـ، بينما يذكر ابن عذاري أن فتح المدينة كان في الثامن من محرم عام ٣٦٣هـ، انظر، ملحق رقم ٣، ٤، ولعله ربط ذلك بوصول الكتاب إلى الخليفة الحكم المستنصر، انظر، ابن عذاري، البيان ، جـ٢ ، ص٢٦٨ .

(٤) ابن حيان، المقتبس، ص١٤٢.

ومن الملاحظ أن الفترة الواقعة بين قتل نائب ابن كنون وافتتاح مدينة البصرة ، وإعلام الخليفة الأموي بهذه الأخبار استغرقت خمسة أيام فقط [١]، مما يدل على اهتمام الخلافة وقرب المسافة.

لكن موقف أهل البصرة من آخر الأدارسة أمر لافت للنظر، صحيح أننا لم نقف بالتحديد على من الذي آزر الأمويين، خصوصا أن قاتل نائب ابن كنون أسمه ثعبان البربري [٢]، دون الإشارة إلى انتمائه القبلي، ولعل قبيلة زناتة كانت في مقدمة هؤلاء، بسبب سكناها في البصرة وميلها إلى الأمويين، إضافة إلى غيرها من سكان المدينة، لاسيما أن المكاتبات كُرر فيها تباعا عبارة: "أهل البصرة " [٣]، مما يبين أن هذا الموقف شمل كل سكانها.

أما عن أسباب هذا الموقف فلعله يرجع إلى تأرجح الأدارسة بين الفاطميين والأمويين، أو بسبب ما قاموا به من ممارسات مالية جائرة، فضلا عن تعلق البصريين بالأمويين بسبب القرب، ولو جود الأندلسيين بسبب التواجد العسكري أو التجاري أو حتى الإقامة الدائمة، وكل ذلك وغيره لدال على هذا الموقف.

وبعد فتح مدينة البصرة لم يقطع الفاطميون أملهم في العودة إلى المغرب الأقصى، فيظهر من هذه المكاتبات، فضلا عما تذكره المصادر التاريخية. [٤] أن غالبا أعد جيشا، انفذه في أخريات عام ٣٦٣هـ/٩٧٣م، نحو مدينة البصرة ،

---

(١) قتل محمد بن عبد السلام يوم الجمعة الثالث من محرم، ودخل غالب البصرة يوم الأحد الخامس من المحرم، ووصلت الأخبار إلى الحكم يوم الأربعاء الثامن من محرم عام ٣٦٣هـ، انظر، ابن حيان، المقتبس، ص١٤٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ص ١٤٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، صفحات ١٤٢،١٤٤،١٤٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، صفحات ١٧٨، ١٨١ .

عندما علم بتحرك ابن زيري من إفريقية إلى تاهرت، لكنه سرعان ما ولى راجعا عندما علم بجيش ابن غالب.

واستمر دور أهل البصرة ، بعد استقرار غالب لضبط المدينة وأخذ رهنهم[١]، فتقدم أهلها لمعقل ابن كنون، كما هاجر بعضهم إلى قرطبة، ومنهم ثعبان البربري، الذي خرج بأهله وولده، وكذا مشيخة أهل المدينة الداخلين في طاعة الخليفة الأموي [٢] وتبين المكاتبات أيضا [٣] وصول الممثلين لمدينة البصرة لعاصمة الأمويين سواء العسكريين أو المدنيين، الذين عبر عنهم بمشيخة أهل البصرة " أو أهل العلم بها، حيث اهتم بهم الخليفة الحكم واستمع إليهم.

لكن لابد من الوقوف عند عبارة أخذ رهنها، فلا يمكن أن يكون هؤلاء الذين خرجوا مع القائد الأموي أو هاجروا إلى قرطبة، فربما يكونوا من المعارضين للأمويين .على آية حال، فخروج ابن كنون إلى الأندلس وذهابه إلى العزيز الفاطمي بالقاهرة عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م [٤]، كان من وراء استمرار الأمويين في البصرة أثناء خلافة هشام المؤيد، وسيطرة المنصور بن أبي عامر الذي أرسل جعفر بن علي وأخيه يحيى في نفس العام [٥] إلى مدينة البصرة [٦]،

(١) ابن حيان، المقتبس، ص١٤٦.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ص ١٤٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص ١٤٦.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢١٩.

(٥) وهو وأخيه يحيي من اشد خصوم الشيعة، وهما أبنا على بن حمدون المعروف بالأندلسي الذي استقر بالمسيلة في المغرب الأوسط، وبسط حكمه على تلك الناحية وخلفه ولداه في إقطاعه، فلما خشيا سطوة الشيعة وسطوة عاملهم زيري فرا إلى المغرب الأقصى.. ولجأ إلى بني خزر أمراء زناتة وألد خصوم الشيعة وكان رسل الحكم يوجهون لمحاربة الشيعة ويمدونهم بالمال لحشد الرجال حتى قتل زيري ودارت الحرب في رمضان عام ٣٦١هـ/٩٧١م، انظر ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٤٣.

(٦) ابن خلدون، العبر، جـ٧، صفحات ١٨-١٩.

وأمدهما بالخلع والأموال ليدعم نفوذه بالمغرب الأقصى، وقلدهما على حكم هذه البلاد كما تذكر المصادر، لكن على ما يبدو أنه تم إرسال جعفر في عام ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، وكان أخوه يحيى موجودًا قبله بمدينة البصرة ، لذا لم يكن إرسال جعفر بقصد غزو برغواطة فقط ،بل لاستمالة أمراء زناتة بالمغرب الأقصى، حيث انضم لجعفر وأخيه غالبية أمرائها[١]، ولاتخاذ قاعدة في الشمال تهيئ له السيطرة على برغواطة، لذلك كان نزوله بمدينة البصرة ، باعتبارها قاعدة الأمويين التي ينطلق منها قوادهم لضرب الخارجين عليهم، لاسيما بعد توتر العلاقة بين برغواطة وأموي الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر [٢] .

ولما كان يحيى بن علي واليا على البصرة ، فمع مجيء جعفر وقع الصراع بين الأخوين، حتى استمال يحيى الجند وأمراء زناتة [٣]، ثم توجه جعفر جنوبا نحو برغواطة، وبعد هزيمته عاد إلى البصرة ، مما يؤكد أنها كانت قاعدة عسكرية مهمة للأمويين. ثم استدعى ابن أبي عامر جعفر بن علي إلى الأندلس عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م وترك أخيه يحيى حاكمًا على مدينة البصرة التي ظلت تابعة لعمال بني أمية [٤] حتى حملة أبي الفتوح زيري الصنهاجي صاحب إفريقية من قبل العزيز الفاطمي الذي استولى على مدينة البصرة وهدمها. [٥]

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٦، صفحات ٢٠٨- ٢٠٩.

(٢) سحر عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية ١٩٩٣، ص٤١.

(٣) ابن خلدون، العبر ، جـ٦، ص٢٠٩.ولعل تعيين يحيى بن علي على البصرة أعقب فتحها على يد القائد غالب.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص ٢٣١.

(٥) عمل زيري بن عطية أمير زناتة في ذلك الوقت على جمع شمل قبيلته، فكثر جمعه عام ٣٦٨هـ/٩٧٩م، وملك فاس وغيرها، وكان يدعو لبني أمية،وفي نفس العام خرج بلكين بجيشه لاسترداد المغرب الأقصى من أيدي زناتة،انظر،ابن عذاري، البيان،جـ١ ،صفحات ٢٥٢، ٢٣١.

وبذلك انتهى الدور السياسي لمدينة البصرة ، الذي بدأ يظهر حثيثا مع ظهور قوة الفاطميين بعد الاستيلاء على مدينة فاس، ثم أصبح منفردًا مع أمراء الأدارسة الأواخر.

تخريب المدينة:

وبخصوص تخريب مدينة البصرة ، فيتضح من المصادر أنه لم يأت بشكل مباشر، لكن في إطار الدور المنوط به بلكين للقضاء على النفوذ الأموي وحليفته زناتة، فبعد استيلائه على فاس وسجلماسة وبلاد الهبط، فر عمال بني أمية والزناتيين والمغراويين وبني يفرن متجهين إلى سبتة، منهم يحيي بن علي صاحب البصرة ، فأقتفى أثرهم، وأمام استحالة إخضاع سبتة، قرر العدول عن الهجوم عليها وتوجه إلى البصرة . (١)

وهناك عدة تساؤلات لابد من طرحها، منها: هل كان هذا الدخول الأول أم الثاني؟، ولماذا دخلها بعد عجزه عن الاستيلاء على مدينة سبتة؟، ولماذا خربت البصرة دون غيرها برغم استيلائه على عدة مدن مثلها لا تخفي أهميتها؟

بداية فيما يخص تعرض المدينة لحملته مرتين، فبرغم عدم تصريح المصادر بذلك، فإن العبارة التي أسلفناها تبين أن فرار عاملها، وكذا قبيلة زناتة نحو سبتة، جعله يتجه نحو المدينة السابقة نظرًا لأهميتها (٢)، ولما كان بلكين يعرف مناعة مدينة سبتة وحصانتها فلم يعمد إليها مباشرة فوجه جهوده إلى الاستيلاء

(١) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص ٢٣١؛ ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٣٨؛ السلاوي، الاستقصا، ص ١٠٥.

(٢) النويري، نهاية الأرب، في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٨٣، جـ٢٤،ص ١٢٥؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية – تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ – ١٢ م ؛ نقله إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت ١٩٩٢، جـ١، ص ٩٢.

على بقية مدن المغرب الأقصى، فاستولى عليها وطرد منها جميع عمال بني أمية، ثم رحل إلى مدينة سبتة، فخرج المنصور بنفسه لإمداد زناتة وقاد جيوش الأندلس من الجزيرة الخضراء، وعقد لجعفر بن يحيى على حرب بلكين وعندما خرج بلكين ورأى جموع زناتة وجند الأندلس المستعدة للقتال، فأيقن استحالة الاستيلاء على سبتة [١] وترك حصارها وعاد للهجوم على البصرة وأمر بنهبها وتخريبها.

ولعل بلكين دخلها بعد عجزه عن دخول مدينة سبتة ليمنع ما يمكن أن تقدمه البصرة من مساعدات، أو بسبب أهمية دورها بالنسبة للأمويين. أما اقتصار التخريب على مدينة البصرة ، يرجع إلى دورها السياسي خصوصا في الفترة الأخيرة، وأهميتها العسكرية، لاسيما أن قلعتها شملها التخريب [٢]، فضلا عن ذلك قربها من الأمويين وتبعيتها لهم، فكان آخر والي عليها قبل التخريب هو يحيى بن علي من قبل ابن أبي عامر، إضافة إلى وجود زناتة بها.

ويختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ التخريب، فمنهم من يرى [٣] أنها خربت عام ٣٦٠ أو ٣٦١هـ / ٩٧٠-٩٧١م، ومن يرى [٤] أن تخريبها كان عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م أو ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م، ويأتي هذا الاختلاف عند ابن عذاري نفسه[٥]، فيأتي تاريخ الحملة والتخريب في موضعين مختلفين. لكن مما يبين أن التخريب حدث عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م، لأن ما تم قبل هذا التاريخ من أحداث حفظتها لنا المكاتبات السابقة، وعرضت لها ولتواريخها، وهي تدل على أنه حتى

(١) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٢٩؛ سنوسي يوسف إبراهيم زناتة والخلافة الفاطمية، القاهرة ١٩٨٦، ص ٢٩٤.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ١ ، ص ٢٣١.

(٣) مجهول مفاخر البربر، ص٢٥؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٤، ص١٧٥.

(٤) ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص ٢٨.

(٥) البيان، جـ١، ص٢٣١؛ جـ ٢، ص ٢٤٣.

عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م لم تتعرض المدينة للتخريب، كما بينا، فضلا عن تتابع الأحداث عند المؤرخين عن دور الأمويين في المدينة سواء من قبل القائد غالب أو يحيي بن علي وأخيه جعفر. وربما يرجع هذا الاختلاف إما للرجوع إلى مصدرين مختلفين أو الخلط الذي وقع بين حملة بلكين السابقة التي أشرنا إليها عام ٣٦٢هـ/٩٧٢م، والحملة التي كانت في التاريخ الأخير.

على أية حال، هذا التخريب الذي ألم بالمدينة، يمثل آخر حلقات الصراع بين الفاطميين والأمويين فيما ارتبط بمدينة البصرة ، لأن ما حدث لها قضى عليها، كما ذكرت بعض المصادر، واقترن هذا التخريب بنهب المدينة وحرقها [١] تلك التي وصلت قبل تخريبها إلى قمة ازدهارها العمراني [٢]، فنهب ما كان فيها من الأموال والأمتعة على يد جند بلكين. [٣]

ولعل العبارة التي أوردها ابن عذاري [٤] لقادرة على التعبير على ذلك فيذكر: "فاستحالت عليها الجيوش والأمم، فصارت كأن لم تغن بالأمس".

وأخيرا هل كان تخريبها لافتقارها لما يحميها وقلة تحصيناتها الطبيعية والبشرية مما ساعد على هدمها؟ تذكر المصادر أنه قد توفر للمدينة حماية طبيعية، فكانت على ربوة وقلعتها محاطة بالجبال زادت من حصانتها، كما أن المدينة تقع بين تلين من الشرق والجنوب [٥]، صحيح أن سورها لم يكن بالمنيع [٦] ، فلعل السور لم يشكل السبب الأول في تحصينها، لأنها كانت محصنة بالفعل بسبب

(١) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٤، ص ١٧٥.

(٢) الحسن بن الوزان، تاريخ أفريقيا، ص ٣١٠؛ Terrasse, L'Art hispano mauresque des origins des 111e siècle, Paris 1961, p.213.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص ٢٣١.

(٤) البيان، جـ ١، ص ٢٣٢.

(٥) البكري، المغرب، ص ١١٠؛ الحسن بن الوزان، وصف أفريقيا، ص ٣١٠.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨١.

موقعها الجغرافي، الذي أشرنا إليه سلفًا .

وبعد تخريب مدينة البصرة ، وضحت أهميتها السابقة، وأصبحت هناك ضرورة لإيجاد مدينة أخرى تقوم بنفس الدور، لذا عمرت مدينة قصر عبد الكريم [١] القريبة منها لتكون قاعدة لتلك الناحية [٢] بعد البصرة [٣] التي توفرت لها الحماية الطبيعية، لوجود جبال غُمارة ببلاد الريف التي تمتد حتى فاس[٤]. وهذا يؤكد ما افترضناه.

ومع ذلك فلا بد من مناقشة أمر مهم، وهو هل هذا التخريب قضى على مدينة البصرة تمامًا؟

توصلت الدراسات الخاصة ببحث أنقاض مدينة البصرة إلى أن منطقة التجمع السكني قد أعيد بناؤها، حتى أن حوائط المباني الجديدة لم تكن واحدة، وغالبًا ما تتبع نسق جديد خاص، وفي بعض المواضع من المدينة نجد أن معظم المنازل قد انهارت نتيجة لحريق هائل وسقطت قطع الآجر نتيجة لذلك، وفي الأماكن التي أعيد استخدامها بعثرت حجارة من بقايا المنازل من الطور النهائي للمدينة في عصري المرابطين والموحدين. [٥]

---

(١) تقع هذه المدينة على تل شمالي البصرة على بعد مرحلة، وهي مدينة محدثة أسسها أحد أشياخ كنامة، وسميت باسمه، كما تعرف أيضا بأنها قصر كنامة، وكذلك بقصر دنهاجة، حيث سكنها قوم من البربر من دنهاجة. انظر، البكري، المغرب، ص ١١٠؛ مجهول، الاستبصار، ص١٨٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ١، ص١٠٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤٤.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص١٧٠.

(٣) أبو الفدا، تقويم البلدان، باريس، ١٨٤٠، ص ٣٣.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ١٧٠.

(٥) انظر:

Benco, N, Al-Basra in historical archaeological perspective in Anatomy of Al-Basra p.7.

ولعل ما ذكره القدامى [١] يفسر ذلك، فابن حوقل الذي زار المدينة بين أعوام ٣٣٦-٣٤٠هـ/٩٤٧- ٩٥١م، قبل التخريب شهد بازدهارها، وذكر أن سورها ليس بالمنيع، أما المقدسي الذي زارها بعد التخريب بين عامي ٣٦٩-٣٧٠هـ/٩٧٩-٩٨٠م، لم يذكر السور، وهو أول من أشار إلى تخريبها، بينما ذكر البكري أن لها سور من الطوب والحجارة ، وأورد الأدريسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، في حديثه عن مدينة البصرة أنها اندثرت، بينما لاحظ الحسن بن الوزان في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي أن أسوارها لا تزال باقية. وهذا يجعلنا نفترض أنه كان للبصرة سورين الأول بني مع الأدارسة، وتحطم في التخريب السالف الذكر، والسور الثاني بني في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وظل موجودًا حتى النصف الأخير من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حتى مجيء المرابطين [٢]، فضلاً عن ذلك. فقد وجدت بعض الكسرات الخزفية ودراهم فضية ترجع إلى عصر الموحدين [٣] مما يبين أن المدينة عاشت بعد الأدارسة، لكن لم يكن لها دورًا سياسيًا بعد ذلك، ولعل دورها اقتصر على النواحي الأخرى، لمدة قرنين، ومن المحتمل أنها عاشت بفضل موقعها المتميز، لأنها ظلت بلدًا تجاريًا [٤] إلى أن اندثرت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فيشير ياقوت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى اندثارها [٥].

---

(١) صورة الأرض، ص ٨١؛ أحسن التقاسيم، ص٢٣٠؛ المغرب، ص ١١٠؛ نزهة المشتاق، ص١٦٩؛ وصف أفريقيا، ص ٣١٠.

(٢) انظر،

Benco, N, Al-Basra in historical archaeological perspective in Anatomy of Al-Basra, p.3.

(٣) انظر، Eustache, El-Basea, Capitale Idrissite, p.222.

(٤) انظر، Eustache, El- Basra, Capitale Idrissite, p, 234.

(٥) معجم البلدان، بيروت ١٩٩٥، جـ٤، ص ٣٦٤.

أهمية الحياة الاقتصادية: -

وللحديث عن الحياة الاقتصادية لمدينة البصرة ، فلابد من معرفة وضعيتها الجغرافية التي وفرت لها مقومات أهلتها لذلك، فتذكر المصادر أنها تقع في منطقة غنية بسبب كثرة المجاري المائية بها [١]، حيث يوجد بها جبل يقال له صرصر كثير المياه والثمار [٢]، وهي في سهل بين تلين يخترق سهولها نهر لقس أو لكس [٣] ، وبها مياه من خارجها عيون وآبار عذبة عليها بساتين وفحوص في شرقيها، لاسيما أنها تقع في منطقة تكثر بها الأنهار والقرى، لأنها تقع في منطقة السهول الخصبة القريبة من جبال أطلس الوسطى [٤] ، وشربهم من بئر عذب، وهي طيبة الهواء، صحيحة التربة، وكانت تربتها تسمى بالحمراء لخصوبتها [٥] ، فضلا عن أنها بها بسائط ونظر واسع كثيرة الزرع وبها قرى وعمارات[٦]، وبالجملة هي كثيرة الخير.

ولعل ما سبق قد أهلها للزراعة، التي على ما يبدو كانت تعتمد في الري على العيون والأودية عن طريق السواقي [٧]، ويفيد أيضا أن الزراعة كانت

---

(١) الحسن بن الوزان، وصف أفريقيا، ص٣١٦. وهذه المنطقة المقصودة هي بلاد الهبط التي تشتمل على طنجة والبصرة وما حولها، انظر، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب، جا، ص٣٦ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جا، ص٢٣٥.

(٣) وهو من انهار المغرب الأقصى، وينبع من منطقة جبلية ويصب في العرائش ، انظر ، الإدريسي ، نزهة المشتاق، ص٧٩ .

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٦؛ Terrasse, Histoire du Maroc, p.61.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨١؛ البكري، المغرب، ص ١١٠؛ الاستبصار، ص١٨٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤٤.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٧٩.

(٧) وعلى ما يبدو أن هذا النوع كان منشرا ، لأن هذه العيون كانت تغذيها الأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، انظر، سوزي أباظة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى، من تمام الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة ١٩٩٦، صفحات ٦١-٦٥.

بالجبال والسهول والأودية، لذا اشتهرت بزراعة القمح [١] التي تميزت به، خصوصا بالقرب منها [٢]، إلى جانب القطن والشعير وسائر الحبوب، أما شهرتها بزراعة الكتان فكانت فائقة وغالبة عليها، بحيث أشتهر اسم المدينة به، فعرفت بـ "بصرة الكتان" عند القدامى [٣]، كما كثرت بها الأشجار المثمرة [٤]، وبرغم قلة المعلومات الواردة عن الزراعة فإن ما أسلفناه ينطق بتفوقها فيها.

أما فيما يرتبط بوضعية الأرض، يرى البعض [٥]، أن مكان مدينة البصرة قبل إنشائها كان ضيعة مزدهرة يسكنها البربر، لكن مع الأدارسة، فلا نستطيع أن نقف على وضعية مدينة تابعة، وأن كان تقسيم دولة الأدارسة قد أفرز ظاهرة الإقطاعية فيها مما لا يدع مجالا للشك، حتى أن البصرة كانت إقطاعا لبني القاسم [٦]، خصوصا أن القاسم أقطعها لأبنه إبراهيم، فيذكر ابن عذاري أنه أول من ملكها [٧]، ولعل ذلك استمر مع كل من تولى المدينة من هذا البيت، حتى عُرف من تولاها بصاحب البصرة ، كما نلمح هذه السمة الإقطاعية أيضا حينما سيطر الأمويون على المدينة من دون الأدارسة، وأقطع المنصور بن أبي عامر مدينة البصرة وما وراءها لجعفر بن علي [٨] وارتبط ذلك بطبيعة الفترة التي عاشتها المدينة التي لم تخرج عن المنظومة العامة للدولة الإسلامية آنذاك، حيث اتضحت بصمات الإقطاعية العسكرية المرتبطة بالتجزئة السياسية في دولة

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٧٩.

(٢) الحسن بن الوزان، وصف أفريقيا، ص٣١٠.

(٣) البكري، المغرب، ص١١٠؛ مجهول، الاستبصار، ص١٨٩.

(٤) الحسن بن الوزان، وصف أفريقيا، ص ٣١٠.

(٥) انظر، Eustache, Corpus, p.119.

(٦) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص٨٨.

(٧) البيان، جـ١، ص ٢٣٥.

(٨) مجهول، مفاخر البربر، سص٢٨.

الأدارسة [١] التي استندت على العصبية القبلية، حتى اعتمد يحيى بن علي على أمـراء زناتـة، حيـنما اختلـف مـع أخيـه جعفـر كـما أشرنـا ، ممـا يؤكـد الطـابع الإقطاعي[٢]، وأخيرًا قد ساعدت المعطيات الجغرافية لمدينة البصرة على ترسيخ الإقطاعية بها.

كما مثلت حرفة الرعي وجه آخر من أوجه الحياة الاقتصادية، خصوصا أن المصادر ذكرت أيضا "أنها أوسع تلك النواحي مرعا وأكثرها ضرعا"، وليس بتلـك النـواحي أوسـع منهـا مرعـي [٣]، ولكثـرة ألبانهـا كانـت تعـرف بـ "بصرـة الألبان"[٤]، ولما كانت مثل هذه المعلومات تأتي عند القدامى جملة دون تفصيل، مما يجعل أحكامهم المطلقة تنعكس على البحث، وإن كان هذا يدل على احتراف أهلها للرعي الذي مثل حرفة لها أهميتها.

وإذا كنا لم نستطع أن نقف على معلومات خاصة بالصناعة بمدينة البصرة ، فقد دلت البحوث الخاصة بدراسة الآثار على أن النشاط الصناعي كان مجاورًا للمنطقة المأهولة بالسكان، حيث وجدت بقايا أدوات لتعديل تدفق الهواء في المواقد، تفيد بأن الخزافين استخدموا هذه المواقد لصناعة الآجر والخزف، كما وجدت مواقد معدنية عند سفح الجبل، فضلاً عن ذلك أظهر التحليل الأثري أن الخشب كان يستخدم كوقود لصنع الأدوات المعدنية[٥]، كذلك وجود

(١) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا، جـ٢، ص٣٤٥.

(٢) ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٩؛ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا، جـ٢، ص ٤٠٧.

(٣) البكري، المغرب، ص١١٠؛ الاستبصار، ص١٨٩.

(٤) البكري، المغرب، ص ١١٠؛ مجهول، الاستبصار، ص ١٨٩.

(٥) انظر:

Benco, Al Basra in historical archeological perspective, Mahoney, N, Agriculture, industry and Environment Archaeobotanical evidence from Al-Basra, in Anatomy of Al-Basra, pp.6.41.

كسرات الفخار المتناثرة في خرائب المدينة [١]، تدل على احتراف أهلها لهذه الصناعة، وكان خزافو البصرة من البربر والحرفيين المهاجرين من الأندلس، ويبدو أنه كان لهم حرية الاختيار في إنتاج الخزف، فبرغم وجود نسق جديد مع المهاجرين، فإن البربر لم يغيروا طريقتهم، وكل كان يتجه حسب ما تضيفه ذاتيته وانتمائه، كما وجدت كميات كبيرة من الأشياء المصنوعة من الزجاج، سواء الصنج الزجاجية أو الأوعية، وكذلك الحلي من الزجاج والخرز، وهذه المقتنيات تعبر عن مستوى متميز في إنتاج هذه الصناعات [٢].

أما التجارة، فقد أشرنا إلى أن السبب في إنشاء المدينة ربما يتعلق بهدف تجاري، لذا فقربها من السواحل أهلها للمشاركة في التجارة الخارجية، فيذكر ابن حوقل [٣]، أن مدينة تُشمس القريبة من البحر بينها وبين البصرة نحو ميل، وبها وادي سفدد، وهو شعبتان تقع أحدهما من بلد دنهاجة جنوبي البصرة ، ولما كانت المسافة بين مدينتي البصرة وتُشمس دون المرحلة على الظهر، لذا "كان أهل البصرة يحملون تجاراتهم في هذا الوادي في المراكب، ثم يخرجون إلى المحيط ويعودون إلى البحر الغربي فيسيرون منه حيث شاءوا". معنى ذلك أن هذا القرب جعل لمدينة البصرة منفذا على المحيط سهل لها القيام بالتجارة.

كذلك قيامها بالتجارة في البحر المتوسط بسبب قربها من بحيرة أريغ

---

(١) انظر Eustache, Corpus, p.119.

(٢) انظر:

Jennifer F, Hembree, Pottery and Ethnic change of Al. Basra, Benco, Al Basra in historical archeological perspective, in Anatomy of Al-Basra, pp.49,7

(٣) وادي تشمس المعروف بوادي سفدد، وبين تشمس والبحر نحو ميل انظر، صورة الأرض، ص ٨٠.

التي تنبع من المحيط ، فشارك أهل البصرة في التجارة الأندلسية، حيث كانت ترسوا فيها المراكب الأندلسية التي تحمل غلاتها، وفيها يركب أهل البصرة ويشحنون البضائع من نواحيهم، خصوصا بلد بياتة [١]، ولقربها من مدينة أصيلا، التي تعتبر أقصى المعابر إلى الأندلس، ولارتباطها بالبصرة ، فنشطت تجارة البصرة مع الأندلس عبر أصيلا، إضافة إلى علاقتها الطيبة مع أموي الأندلس [٢]، لذا فقد أهلها موقعها المتوسط بين ساحل المحيط والبحر المتوسط لتلعب دورًا تجاريًا مهما.

وهذه المدينة التي شاركت بدور ملحوظ في التجارة الخارجية كما بينا، لاسيما البحرية، كان لها ميناء به قلعة هي بالأحرى مستودع للسلع وملجأ أمين تم اكتشافه خلال عمليات التنقيب، وقد توصل البحث الأثري إلى إثبات ارتباط هذا الميناء بمدينة البصرة ، لأنها تبعد عن بحيرة أريغ ٤٠ كم، وأن بني يفرن قاموا بإنشاء المعمورة القريبة من البحيرة، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أما القلعة فقد بنيت في العصر الموحدي [٣].

كما شاركت مدينة البصرة في التجارة الداخلية عبر مدن المغرب الأقصى بسبب وقوعها على طريق التجارة، وأسهمت في تسهيل الحركة التجارية ونقل البضائع من مدينة إلى أخرى لقربها من كثير من المدن [٤]. ولعل الطرق المارة

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨٢؛ البكري، المغرب، ص١١١.

(٢) الأصطخرى، المسالك والممالك، ص ٣٤، كما أنها أول مدن العدوة من جانب الغرب، انظر، البكري، المغرب، ص ١١١.

(٣) يشير الإدريسي إلى المعمورة التي تبعد عن سلا مرحلتين، انظر، نزهة المشتاق، ص ٧٨؛
Eustache, El-Basra, Capitale Idrissite, pp. 222, 223, 226-228.

(٤) سوزي أباظة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص١٦٨. أشرنا فيما سبق إلي المدن التي تحيط بمدينة البصرة مثل جنيارة وأصيلا وسلا والعرائش، ونضيف أيضا مدينة ماسينة التي تقع جنوبي البصرة على وادي يعرف بها يجري إلى وادي سبو وهو وادي فاس، وكذلك مدينة الأقلام التي تقع بالقرب منها وتبعد عنها أقل من مرحلة، انظر، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٨١ ؛ البكري، المغرب؛ الحميري ، الروض المعطار، ص ١٤١.

بمدينة البصرة توضح أهميتها، فيوجد خطين تجاريين يربطاها بمدينة فاس أسهما في إنعاش التجارة الداخلية، أحدهما يربط بين طنجة وفاس لاسيما أنها تقع بينهما[١]، الأول يبدأ من قلعة ابن خروب ثم إلى قصر دنهاجة ومنه إلى البصرة [٢]، وهناك طريق أخر يربط بينها وبين حاضرة الأدارسة رأسا، وطول هذا الطريق سبعة أيام[٣]، كما أنه من مدينة أصيلا إلى مدينة فاس خمسة أيام على طريق البصرة ، ويمتد هذا الطريق إلى تازا، ويلتقي بالطريق الشمالي في جراوة [٤]، ويعتبر من أهم الطرق، لأنه يقع في وسط المغرب الأقصى، خصوصا أنه يربط بين المدن الشمالية والجنوبية حيث يصل إلى أغمات . [٥]

وفي اتجاه مدينة سبتة ينطلق طريق أساسي يربط مدينة فاس بمدن الشمال الغربي، حيث يخترق غُمارة من وسطها وتشارك فيه البصرة أيضًا [٦]، كما لا يستبعد أحد الدارسين [٧] أن تكون مدينة البصرة على اتصال مباشر بحاضرة نكور، لاسيما أنه كان هناك خط مباشر من ميناء المزمة إلى سبتة ثم أصيلا ثم إلى السوس الأقصى.

---

(١) الحميري، الروض المعطار ١٠٨.

(٢) يبدأ هذا الطريق من البصرة ثم إلى وادي ورغة، ومنها إلى ماسينة ثم إلى سداك في بلد ميلة ومنها إلى فاس. ومن طنجة إلى فاس ستة أيام على طريق أصيلا؛ انظر، البكري، المغرب، ص١١١.

(٣) البكري، المغرب، ص ١١١؛ يذكر الحميري أن بين البصرة وفاس مرحلتين أو ثلاث مراحل انظر، الروض المعطار، ص١٠٨، يذكر الحسن بن الوزان أن بين المدينتين ثمانين ميلا، انظر، وصف أفريقيا، ص ٣١٠، والأقرب إلى التصديق أن المسافة بين فاس والبصرة ست مراحل، انظر، ابن عذاري، البيان، جا، ص١٠٣.

(٤) البكري، المغرب، ص ١١١.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٠؛ البكري، المغرب، ص١٥٤.

(٦) البكري، المغرب، ص١٠٦.

(٧) أحمد الطاهري، إمارة بني صالح في بلاد نكور، صفحات ١٤٥- ١٤٦.

ولذلك ساعد موقع مدينة البصرة على مشاركتها في التجارة الخارجية والداخلية، بسبب توفر عوامل أخرى إضافة إلى موقعها، منها السلع التي أسلفناها، وأن تجار البصرة كانوا يتبايعون بالكتان على عكس بقية التجار [١]، ولا يخفي أهمية الكتان وقتئذ، لذا نشطت تجارة البصرة ، حتى أن تجارها كانوا يشاركون تجار فاس وسجلماسة في الخروج بتجاراتهم كما بينا.

كما لم تمنع العداءات السياسية من اتجار البصرة مع برغوطة ، فكانوا يحملون إليهم التجارات مع مدينة فاس في وقت السلم [٢]، وأدت وفرة القطن فيها إلى حملة إلى إفريقية وغيرها [٣]، فضلا عن تواجد تجار البصرة مع تجار فاس وسجلماسة في حصن داي من بلد زواغة الذي كان فيه سوق يجتمع فيه هؤلاء التجار بضروب الأمتعة والمتاجر. [٤]

أما فيما يرتبط بالتجارة داخل مدينة البصرة نفسها، فلم تكشف لنا المصادر عنها، فبرغم إسهاب الجغرافيين في الحديث عن الطرق كما بينا بشكل عام، لكننا افتقرنا إلى ذكر الأسواق بها، وربما فقط أشير إلى أن بها أسواق حسنة[٥] وهذا أمر طبيعي لمدينة مؤهلة لدور تجاري واضح، كما ذكرت أسواقها مع أسواق فاس في مراسلات ابن أبي العافية للخليفة الناصر خلال تتبعه للشيعة بالمغرب. [٦]

وفيما يخص النواحي المالية، فليس لدينا معلومات عن الضرائب المفروضة أو طرق الجباية، ولعلها كانت تتبع النظام المعمول به في بقية المدن

(١) ويقع هذا الحصن في الطريق من أغمات إلى فاس، انظر، البكري، المغرب، ص١١٠.
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨١.
(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨١.
(٤) البكري، المغرب، ص١٥٤.
(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨١.
(٦) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، جـ٥، ص٣٦٩.

الإدريسية، فأورد ابن حوقل[١] في معرض حديثه عن مدينة كُرت.[٢] "وجميع أهل هذا الصقع – إقليم طنجة – لآل إدريس تصل إليهم جبايته ويجبون خراجه"، وعن المعاملات المالية، يتضح لنا أن البصرة كانت تتعامل في البداية بالمقايضة، لأنهم كانوا يتبايعون بالكتان في أكثر تجاراتهم فكان الكتان بمثابة ميزان للمعاملات في البيع والشراء، وأضافت المصادر[٣] عبارة "في بدء أمرها "فهل المقصود بذلك قبل الأدارسة في ذات المكان أو عند إنشائها؟ ولما كنا قد ربطنا إنشاء البصرة بعصرهم، إضافة إلى أن المصادر تجمع على أهمية الكتان بها، فلابد أن المقايضة به ارتبطت بالتجارة الخارجية للأهمية التي احتلتها المدينة من ناحية، ولأن الكتان أو ما ينسج منه كان يمثل قيمة نقدية تؤدي إلى المقايضة من ناحية أخرى، إضافة إلى أن الدراهم ضربت بالمدينة منذ عهد إدريس الثاني كما أسلفنا [٤]، مما يبين أن التعامل بالكتان ربما كان قبل الأدارسة واستمر معهم نظرًا لأهميته.

وكان بالمدينة دارا للضرب، وإضافة إلى الدرهم الذي ضرب عام ١٨٠هـ/٧٩٦م، هناك درهم ضرب عام ١٨٢هـ / ٧٩٨هـ [٥]، ومن الدراهم المرتبطة أيضًا بعهد إدريس الثاني درهم ضرب بالبصرة ، ويرجع إلى عام ١٩٧هـ /٨١٢- ٨١٣م، ودرهم آخر ضرب مع محمد بن إدريس عام ٢٣٢هـ / ٨٤٦- ٨٤٧ م كما ضرب القاسم بن إدريس درهما عام ٢٤٥هـ / ٨٥٩- ٨٦٠م،

(١) صورة الأرض، ص٨١.

(٢) وهي مدينة لطيفة في سفح جبل، منيعة أيضا بغير سور، ولها مياه كثيرة وأجنه، وأهلها تجار والغالب عليهم البربر. انظر، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٨١.

(٣) البكري، المغرب، ص١١٠.

(٤) انظر، Eustache, Corpus, P.119.

(٥) انظر، Lavoix. Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotèque Nationale, Afrique et Espagne, Paris 1841. n 894؛ بينما يذكر أن هذا الدرهم يرجع إلى الفترة المعاصرة لمدينة تدغة، انظر، Eustache Corpus, p.184

وكذلك ضرب إبراهيم بن القاسم درهما عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٣ – ٨٨٤م [١]،فضلاً عن ذلك ، فقد أسفرت عمليات التنقيب في المدينة عن وجود عملات إضافية، وبرغم أنها كانت غير مقروءة في معظمها، لكن منها ما هو سهل القراءة في جزء كبير منه ويماثل أكثر من فترة تاريخية سواء العصر الإدريسي أو المرابطي أو الموحدي [٢] ونقود الموحدين الفضية لم تؤرخ، ونادرًا ما يوجد بها مكان الضرب، وهذا ليس مقياسًا، لأن الشكل المربع الذي خلفه الموحدون اختلف عن نقود المرابطين . ومن هذه القطع الجيدة قيراط لا يحمل اسم الأمير، عمومًا يمكن أن تؤرخ هذه النقود في الفترة من ٥٥٩ – ٦٣١هـ / ١١٦٣ – ١٢٣٣م.[٣]

الحياة الاجتماعية:

ولا بد أن تتأثر الحياة الاجتماعية بما خصت به مدينة البصرة من معطيات اقتصادية المحنا إليها، فكانت من عوامل عمرانها ونزوح السكان إليها، فتذكر المصادر[٤] أنه كان يسكن جبل صرصر قبيلة مصمودة أو كتامة وأصاده، وهي من بطون مصمودة، كما سكنتها قبيلة زناتة، لاسيما من بني يفرن ولعل تواجدها في المدينة يرجع إلى هجرتها من المغرب الأوسط بسبب ضغط الفاطميين

---

(١) انظر الملحق رقم (٥)، (٦) Eustache, Corpus, pp.184-185

(٢) انظر، Benco, Al Basra in historical archeological perspective, in Anatomy of Al-Basra, P.6

(٣) ولأن النقود كانت ممسوحة، فنرى أن هذا المحو لاسم المهدي يرجع إلى أن الخليفة إدريس المأمون قام في عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م بمحو ما يفيد بالسلطة الروحية للمهدي، ونقش في مكانها كلمة القرآن، لكن هذه الثورة لم تطل إلا ثلاث سنوات، انظر، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٥١؛ Eustache, El. Basra Capitale Idrissite, pp.236, 238.

(٤) البكري، المغرب، صفحات ١٠٤، ١١٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣٥.

وحلفائهم من صنهاجة [١]، ومما يبين وجود هذه القبيلة بأعداد كبيرة بعض الأحداث، منها استعانة الحسن الحجام بقبائل البربر الناقمة على الفواطم ليمد نفوذه إلى البصرة وغيرها من المدن [٢]. وكذلك مؤازرتها للأمويين وقتل نائب الحسن بن كنون على أغلب الظن، ووقوفها بجانب يحيى بن علي ضد أخيه جعفر ومحاربة بلكين وفرارها أمامه في الصحراء عام ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م. [٣]

أما العرب، فكانت قبيلة قضاعة تسكن في المدينة، وعلى ما يبدو أنها كانت كثيرة العدد حتى كان لها مقبرة في غربي المدينة [٤]، كما سكن بها بنو سالم من ولد سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب [٥]،ولعل هذا التواجد العربي ارتبط بتأسيس المدينة، فيذكر أحد الدارسين[٦] أن عناصر عربية انتهزت نجاح النظم الموجودة في دول الأدارسة ووفدت من الخارج لتستقر في المدن الإدريسية، ومنها البصرة ، لإذكاء الصراعات بين هذه الكيانات البربرية،حتى أن البكري[٧] ذكر أن كل عنصر منهما كان يتخذ مقابر خاصة به في طرفي المدينة.لكن مما يبين أن البربر كانوا يشكلون أعداد كبيرة، أن مقبرتها الكبرى كانت في شرقيها، تمييزًا لها عن مقبرة قضاعة من ناحية، وإحياء السخائم القبلية

---

(١) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص ١٦٤؛ Terrasse, Historie du Maroc, P. 176

(٢) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص ١٦٤.

(٣) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٤، ص ١٧٥.

(٤) البكري، المغرب، ص١١٠.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، جـ١، ص١٥٤، قد بادوا ومنهم من رحل إلى فاس، وربما ارتبطت هذه الهجرة بتخريب البصرة.

(٦) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص٩١.

(٧) كان بالبصرة مقبرتين واحدة في شرقيها لقضاعة وأخرى في غربيها. انظر، البكري، المغرب، ص ١١٠.

من ناحية أخرى.[١]

كما وجد الأندلسيون بالمدينة، فيذكر المؤرخون [٢] أنه كان بالبصرة عند تخريبها كثير من البربر وأهل الأندلس، ولعل الذي يفسر هذا التواجد الأندلسي بصورة كبيرة علاقة الأدارسة بالأمويين، خصوصا في الفترة الأخيرة التي حتمت وجود عناصر أندلسية، كما أن التخريب جاء بعد سنوات قليلة من هزيمة جعفر بن على وجنده في برغواطة، وقد عادوا إلى مدينة البصرة كما بينا، لاسيما أن المدينة كانت تابعة للأمويين عند تخريبها، كما وجد بها أيضًا بعض الحرفيين الأندلسيين المهاجرين إليها [٣] فضلا عن ذلك تواجد التجار الأندلسيين بالبصرة ، بسبب نشاط أهل البصرة التجاري، ولعل كل ذلك يفسر وجود أهل الأندلس سواء من أهل الحرب أو التجار الذين كانوا يشكلون وبلا شك عددا لا بأس به، خصوصًا من التجار الأثرياء. [٤] ولا نستبعد مجيء أهل القيروان إلى مدينة البصرة ؛ لأن بقايا أسوارها التي مازالت ماثلة للعيان تشهد بأنها بنيت على نسق مشرقي وصلت تأثيراته بدون شك عبر إفريقية. [٥]

وبرغم قلة المعلومات الواردة عن السكان بصورة تفصيلية ، فإشارات المؤرخين تبين أن المدينة عند تخريبها كانت ملأي بالسكان وتحوى ألفي أسرة [٦]

(١) محمود إسماعيل، الأدارسة، ص ٩١.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣١.

(٣) انظر، Benco, Al Basra in historical archeological perspective, Mahoney, Agriculture, industry and Environment Archaeobotanical evidence from Al-Basra in Benco, Anatomy of Al. Basra, pp. 7- 49.

(٤) انظر، Eustache, Corpus, P.119.

(٥) انظر، ملحق (٧) ولعل إنشاء هذا السور يرتبط بعهد إبراهيم بن القاسم بعد عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م،

انظر، Corpus Terrasse, L' Art Hispano Mauresque, P.214 pl. x LI; Eustache , p.120.

(٦) الحسن بن الوزان، وصف أفريقيا، ص٣١٠.

وجمعت المدينة بين أهل الحرب من فرسان ومشاة[١] فضلاً عن العلماء، ويتضح ذلك فيما أورده ابن حوقل[٢] "وفيها قوم لهم خطر وميل إلى السلامة والعلم" وكذا فيما أوردناه عن مشيخة البصرة وأهل العلم بها سلفا [٣] وإضافة إلى العاملين بالزراعة والتجارة خصوصًا قبل التخريب مع بلكين، لكن تلك المدينة التي عاشت بعد ذلك أكثر من قرنين حوت أيضًا بين جنباتها العديد ممن عملوا بالتجارة والصناعة كما بينا، فضلاً عن الزراعة.

وقد تركز السكان في وسط مدينة البصرة حيث وجد بها عدة منازل وأفنية مبلطة ونظام متقن للمياه تحت الأرض، ولم تكن المنازل على نسق واحد، لأن غالبية المنازل هدمت في كل مكان وأعيد بناء بعضها بالحجارة، ومن المنازل التي كشف عن جزء منها، كانت تتكون من حجرتين وكانت الحوائط باللون الأحمر على طول المدخل المنكسر. الذي يوجد في المنازل الإسلامية، وهذا يفيد بأن هناك بقايا لهذه المنازل من الفترة الإدريسية، أما المنازل التي بنيت بالحجارة، فترجع إلى عصري المرابطين والموحدين. [٤]

وألمحت المصادر[٥] إلى جمال نساء مدينة البصرة ، حتى أنه لم يكن ببلاد المغرب أجمل منهن، إلى جانب محاسن الخلق التي عمت النساء والرجال على السواء، فالغالب عليهم حسن القدود ويشملهم الستر والسلامة [٦] وهذه العبارة الأخيرة تفيد بوضعيتهم الاجتماعية، وإن كنا لا نستطيع أن

---

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر حجي، ص١٤٢.

(٢) صورة الأرض، ص٨١.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص١٤٩.

(٤) انظر،

Benco, N, Al Basra in historical archeological perspective, in Anatomy of Al-*Basra, p.7.*

(٥) البكري، المغرب، ص١١٠؛ مجهول، الاستبصار، ص١٨٩.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨١.

نقف على تفاصيل خاصة بهذه الجوانب ولا بالمظاهر الاجتماعية وغيرها، لكن أفادت أعمال التنقيب بالمدينة بوجود بعض أدوات الزينة للمرأة، مثل المراود الخاصة بالكحل وأقراط من النحاس، وعقود من الزجاج والقواقع الصدفية، فضلاً عن الذهب والأحجار الكريمة المختلفة [١]، وهذا يبين التفاوت بين الطبقات الاجتماعية.

وليس لدينا أيضا عن الحياة الثقافية ما يشفي الغليل سوى ما أسلفناه من تواجد أهل العلم بها، فضلا عن بعض الأسماء المنسوبة إليها مما حوته كتب التراجم وغيرها، منها يحيى بن خلف الصدفي وهو من أهلها وتركها إلى سبتة ثم إلى الأندلس، وهو من الفقهاء الذين سمعوا بمكة [٢] كما ظهر بها بعض الشعراء منهم أبو بكر بن حماد التاهرتي، الذي قال قصائد في مدح أحمد بن القاسم أحد ولاتها [٣] إلى جانب أحمد بن فتح الجزار التاهرتي الذي مدح أبا العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم ووصف جمال نساء البصرة فيما ذكر من شعر [٤] جمع فيه أربعة أوصاف لجمال المرأة البصرية مع الدقة في الوصف.

---

(١) انظر:

Hannah, D, Urban Women in early Islamic Morocco, in Anatomy of Al-Basra, p. 73

(٢) ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواه بالأندلس، القاهرة، ١٩٨٨، جـ٢، ص١٩٤.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣٧.

(٤) فتح الآله اللهو إلا قينة بصرية في حمرة وبياض
الخمر في لحظاتها والورد في وجناتها والكشح غير مفاض
في شكل مرجي ونسك مهاجر وعفاف سني وسمت أباض
تاهرت أنت خلية وبرية عوضت منك ببصرة فأعتاض
لا عذر للحمراء في كلفي بها أو تستفيض بأبحر وحياض
ما عذرها والبحر عيسى ربها ملك الملوك ورائض الرواض

انظر، البكري، المغرب، ص١١٠؛ بينما يذكر ابن عذاري بيتين آخرين:

ما حاز كل الحسن إلا قينة بَصرية في حَمرة وبياض
الخمر في لحظاتها والورد في وجناتها هيفاء غير مُفاض

انظر، البيان، جـ١، ص ١٠٣.

ومدينة البصرة التي عاشت فترة ليست بالقصيرة وانتهى دورها، لأن بلكين محا رسمها على حد قول المؤرخين [١]، ظلت تروي ماضيها الصامت من خلال أطلالها الباقية، فيذكر الحسن بن الوزان [٢]: "أن لها أسوار جميلة عالية"، وهو يقرن هذا الوصف بعصر الأدارسة ومن بعدهم، مما يفيد أن المدينة لم تعد للحياة مرة أخرى [٣]، ربما لاطلاعه على بعض الكتب التي تحدثت عن المدينة ولم تصل إلينا، وإن كانت آثارها لازالت باقية حتى اليوم، [٤] شمالي وزان ، ويضيف بعض المحدثين من خلال ما شاهدوه بالمغرب، أن خرائب هذه المدينة ظاهرة للعيان على حافة الطريق غربي القصر الكبير بحوالي تسع كيلومترات في الطريق المتجه إلى وزان[٥] ومنها السور الجنوبي، الذي لم يتبق منه سوى الأساس، أما الجزء الشمالي الغربي من السور فلا يزال موجودًا وهو من الحجر له جدار سميك وبه أبراج نصف دائرية،كما يوجد بها آثار لساقية صغيرة، فضلاً عن بقايا صهريج يظهر من آثار عقود القبة، وأثر لأحد أبواب السور. [٦] أو أن آثارها باقية ظاهرة على يسار الطريق من طنجة إلى سوق الأربعاء جنوبي طنجة في خط مستقيم تقريبا". [٧]

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص ٢٣١.

(٢) وصف أفريقيا، ص٣١٠.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٣٢.

(٤) انظر، Terrasse, Histoire du Maroc, p.180.

(٥) أشار Eustache إلى وصف بقايا مدينة البصرة، من خلال زيارة قام بها في فبراير ١٩٥٥، انظر، Corpus P.118

(٦) وطول هذا السور حوالي ٢,٥كم، انظر،
Eustache, El-Basra, Capitale Idrissite, p.234; Corpus, p.118.

(٧) حسين مؤنس، تعليقات جاءت في هامش كتاب ابن الآبار الحلة السيراء، الذي حققه، انظر، جـ٢، ص١٣١، هامش ١

أخيرًا أسفرت الدراسة عن أن مدينة البصرة نشأت في العصر الإسلامي مع الأدارسة، كما أن دورها السياسي اتضح تدريجيا وارتبط بأفول دور مدينة فاس بعد استيلاء الفواطم عليها في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ليظهر منفردا بداية من عهد الناصر الأموي. وكان موقعها القريب من الأمويين من أهم الأسباب التي جعلتهم يتخذونها قاعدة لهم ونقطة ارتكاز في المغرب الأقصى- خلال صراعهم مع الفاطميين، وبتقلص دولة الأدارسة أصبحت مدينة البصرة القاعدة الثانية والأخيرة للأمراء الأدارسة الأواخر بعد حجر النسر-، ولعبت دورًا محوريًا جاء ضمنيًا أو واضحًا أحيانا، لكن دورها السياسي اقتصر على عصر الأدارسة، فبرغم أنها عاشت بعد تخريب بلكين لها، فلم يكن لها أي ذكر في هذا الصدد.

كما لعبت مدينة البصرة دورًا ملحوظًا على الصعيد الاقتصادي لاسيما في الزراعة والرعي، خصوصًا أن المصادر برغم أنها أوجزت في هذا الصدد، فإنها أجملت ما يفيد بتفوقها في كليهما، حتى جاءت أسماءها المختلفة معبرة عن ذلك. كما تشهد بقايا المدينة المندثرة باحتراف أهلها للصناعة، أما في التجارة تميز موقعها على طريق مدينة فاس لتلعب دورا تجاريا، فكانت هناك توأمة بين فاس والبصرة ، بل وجدت البصرة في بعض الأسواق لتكون ثالثة المدن التي يقوم أهلها بالتجارة، فضلاً عن كونها مركزًا تجاريًا مهمًا، ولها ميناء على بحيرة أريغ وكان دورها الاقتصادي طوال فترة وجودها هو الأول بلا منازع ،لاسيما أنها انتعشت بعد هدمها، واستمرت تلعب دور مهما في التجارة، لأنها مؤهلة لهذا الدور، بسبب موقعها المتميز الذي أسهم أيضًا في جذب الأندلسيين والعرب إليها.

وهذه المدينة التي عاشت قرابة أربعة قرون، تعرضت للتخريب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ثم للاندثار في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر- الميلادي، ولعل قلة المعلومات في الجوانب الأخرى أو انعدامها في

جزئيات كثيرة وورود العموميات عند ذكر هذه المدينة كان من وراء ظهورها في المجال السياسي والتجاري، فكان لمعطياتها الجغرافية أثر واضح في تشكيل تاريخها سواء في علاقتها بالدول الكبرى، أو انعكاس ذلك على تفوقها الاقتصادي، ومع ذلك، فهذا لا يقلل من تواجدها على كافة الأصعدة الأخرى.

***

ملحق رقم (١)

نقلاً عن: عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الإسلامي خريطة رقم (١٢)، إضافة إلى مواقع بعض المدن التي حددها الجغرافيون.

ملحق رقم (٢)

ولاة البصرة من عام ٢١٣ – ٣٦٨هـ / ٨٢٨- ٩٧٨م [١]

- ☒ القاسم بن إدريس عام ٢١٣ – ٢١٦هـ / ٨٢٨-٨٣١م.
- ☒ عمر بن إدريس عام ٢١٦–٢٢٠هـ/٨٣١-٨٣٥م.
- ☒ يحيى بن عمر عام ٢٢٠–٢٤٥هـ/٨٣٥-٨٥٩م.
- ☒ القاسم بن إدريس عام ٢٤٥–٢٤٨هـ / ٨٥٩-٨٦٢م.
- ☒ إبراهيم بن القاسم عام ٢٤٨-٢٨٧هـ / ٨٦٢-٩٠٠م.
- ☒ عيسى بن إبراهيم عام ٢٨٧-٢٨٨هـ/ ٩٠٠ – ٩٠١ م.
- ☒ أحمد بن إبراهيم
- ☒ برهون بن عيسى — 288–307هـ / 901 – 919 م
- ☒ أحمد بن القاسم
- ☒ برهون بن عيسى (الثانية)
- ☒ سعيد غلام المطفر عام ٣٠٧ – ٣١٠ هـ / ٩١٩ – ٩٢٢م.
- ☒ يحيى بن إبراهيم بن القاسم المعروف بابن برهويه.

---

(١) انظر، ابن عذاري، البيان، جـ١ صفحات ٢٣٣، ٢٣٥؛ Eustache, Corpus; pp.120-122.

☒ الحسن بن محمد المعروف بالحجام عام ٣١٠ – ٣١٥م / ٩٢٢ – ٩٢٧م.

☒ محمد بن يحيى بن القاسم

☒ عيسى بن أحمد المعروف بأبي العيش ٣١٥-٣١٧هـ/ ٩٢٧ – ٩٢٩م.

☒ أحمد بن القاسم

☒ وال من قبل ابن أبي العافية ٣١٧ – ٣١٨هـ / ٩٢٩ – ٩٣٠ م.

☒ بنو القاسم ٣١٨ – ٣٢٦هـ / ٩٣٠ – ٩٣٧م.

☒ عيسى بن أحمد المعروف بابن أبي العيش (الثانية)

٣٢٧– ٣٢٧هـ /٩٣٧– ٩٣٨م

☒ القاسم كنون ٣٢٧ – ٣٣٧هـ /٩٣٨– ٩٤٨م.

☒ أحمد بن أبي العيش ٣٣٧ – ٣٤٧هـ / ٩٤٨ – ٩٥٨م.

☒ استيلاء جوهر الصقلي ٣٤٧ – ٣٤٩هـ / ٩٥٨ – ٩٦٠م.

على البصرة

☒ الحسن بن كنون ٣٤٩ – ٣٦٣ هـ / ٩٦٠ – ٩٧٣م.

☒ يحيى بن علي ٣٦٣ – ٣٦٨هـ / ٩٧٣ – ٩٧٨م.

ملحق (٣)

ذلك كتاب الوزير القائد غالب يوم الأربعاء لثمان خلون من المحرم يذكر أنه كتب من مدينة البصرة (يوم الأربعاء لثمان خلون من المحرم) ، قد من الله على الإمام بافتتاحها وبعاد الملحد محمد بن جنون عنها وحيدًا شريدًا طريدًا سليب الأهل والمال، مفجوعًا بخاله ابن عبد السلام المهدي رأسه إلى حضرة الإمام، ومصير غلمانه وعدة حربه وبنود له وطبوله في العسكر المؤيد عزًا وأيْدًا على من لقي من الأعداء أهلكهم الله، وذكر أن ابن جنون الشريد العاقّ لأبيه تخلف بمدينة البصرة زوجَهُ بنت حسنِ بن قنون الملحد أمكن الله منه، فأقرها على حالها تحت التوكيل يستطلع فيها الرأي ، فعهد إليه أمير المؤمنين بسدل الستر عليها وأكرامها ومن معها من نسوتها وإلحاقها واياهن بالملحد والدها حسن بمعقله الحجر، ففعل غالب ذلك وحملها على فرس رائع بسرج ولجام معرفين مُفرَغين بعد أن كسيت كسوة سنية وأفيض ذلك في خدمها ونسائها وأركبن معها فاحتملت / معهن إلى أبيها الحسن بالحجر بأفضل حال. (١)

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر حجي، صفحات ١٤٣ – ١٤٤ .

ملحق (٤)

ووافى كتاب الوزير القائد غالب أيضًا يوم الأحد لأربع بقين من المحرم من محلته على قبيلة رهونة وقد انتقل عن مدينة البصرة بعد أن ثقفها وشكها بالرجال، وقدّم عليها عبد الرحمن بن محمد بن الليث، وذكر أنه لما رأى القوم- يعني رهونة – نهوض العسكر إليهم نزلوا بأجمعهم خاضعين مهطعين لائذين بالطاعة راغبين في العافية، فأوسعهم العفو وقبل منهم الإنابة وبذلك لهم الأمان، واختتم كتابه بأنه لم يبق في الغرب وقت كتابه منابذ سوى حسن والحينُ به محيط وضع الله فيه قريب بفضله. (١)

(١) ابن حيان، المقتبس، ص ١٤٤.

ملحق رقم (٥) دراهم إدريسية ضربت بمدينة البصرة [١]

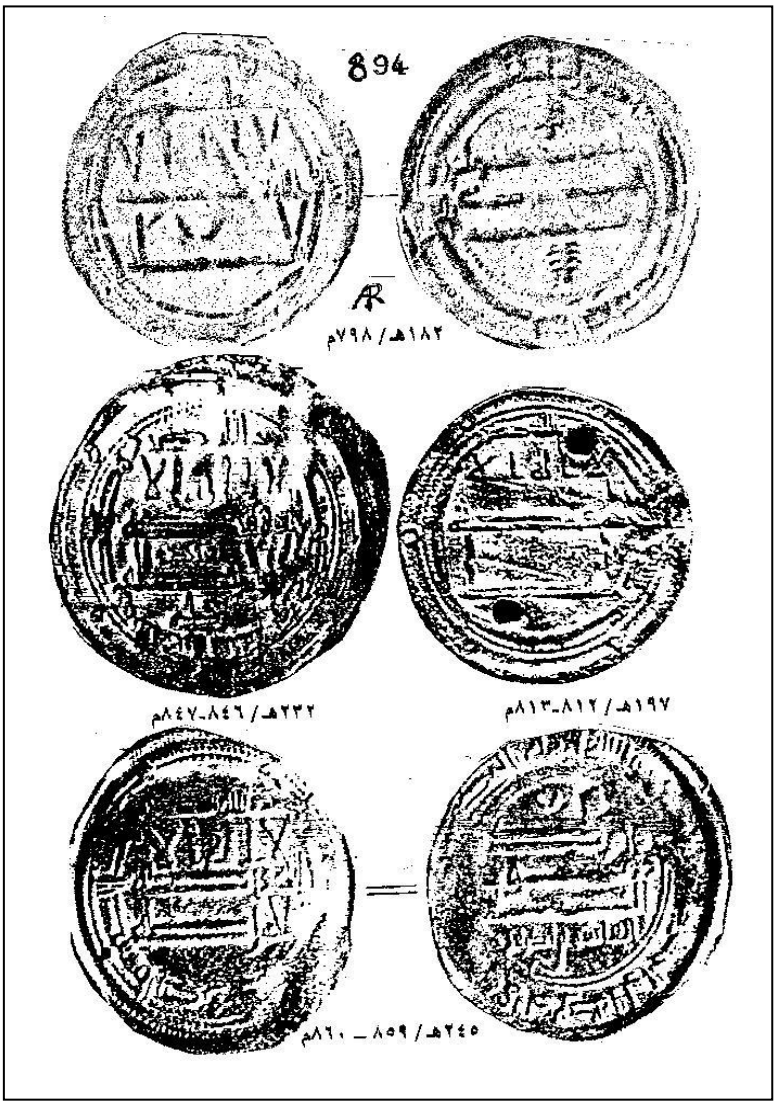

(١) نقلاً عن: انظر،

Lavoix, Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibloitéque Nationale, Afrique et Espagne, Paris 1841, N 894. Eustache, Corpus des Dirhams Idrisites et Contemporains pp.184-185.

ملحق رقم (٦)

قيراط من عصر الموحدين [١]

ضرب بمدينة البصرة

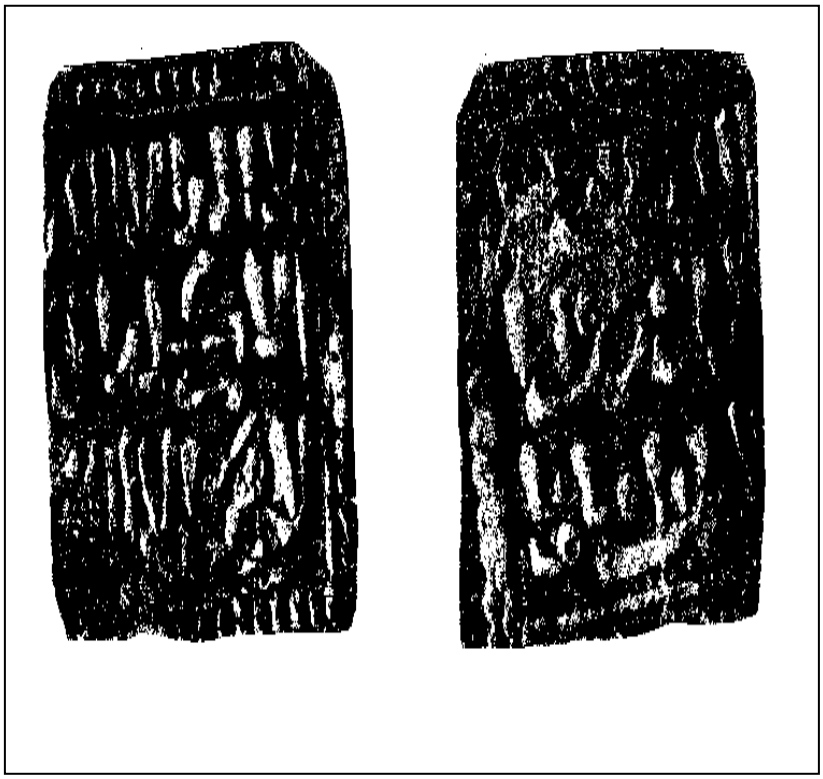

وجه **ظهر**

(١) نقلاً عن، Eustahe, El- Basra Capitale Idrissite et son port, P1.VI.

ملحق رقم (٧)

سور مدينة البصرة

نقلا عن:

Benco, Anatomy of Al-Basra, Figure 21, p.10

المصادر والمراجع

١ – المصادر:

ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)، ٥٩٥-٦٥٨هـ / ١١٩٩ – ١٢٦٠م.
الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة ١٩٨٥.

ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله)، ت ٧٢٦هـ/ ١٣٣٥م
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط١٩٧٢

الإدريسي (محمد بن عبد العزيز الشريف)، ت ٥٥٨هـ/ ١١٩٢م. صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق دي خويه ودوزى، ليدن ١٨٦٤.

الأصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي)، المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسينى، الذخائر ١١٩، القاهرة ٢٠٠٤.

البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق)، توفى ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت ١٩٩٢.

البكري (أبو عبيد)، المتوفى عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، بغداد ، د٠ ت.

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) ٣٨٤ – ٤٥٦هـ / ٩٩٤ – ١٠٦٣م.
جمهرة أنساب العرب، تحقيق محمد عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٧.

الحسن بن محمد الوزان (المعروف بليون الإفريقي)، عاش خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وصف أفريقيا.
ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه أبيولا، وترجمه إلى العربية عبد الرحمن حجى ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٣.

الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله الأزدي)، ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت ١٩٨٣.

الحميري (محمد بن عبد الله الحميري)، توفي في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.
الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق: إحسان عباس، لبنان ١٩٨٤.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي)، عاش خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.
صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٩٢.

ابن حيان (أبو مروان القرطبي)، ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م.
المقتبس في أخبار بلد الأندلس.
حقق عبد الرحمن حجي قطعة منه، بيروت ١٩٦٥.
حقق محمود علي مكي الجزء الثالث وقدمه وعلق عليه، بيروت ١٩٧٣.
حقق شالميتا الجزء الخامس، مدريد ١٩٧٩.

ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله)، ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م كتاب أعمال الأعلام القسم الثالث تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني بعنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضاء ١٩٦٤.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م.
العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٧٩.

السلاوي (أحمد بن خالد الناصري)، ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م.
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
تحقيق وتعليق : أحمد الناصري، الدار البيضاء ٢٠٠١

ابن عبد الحكم ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م
فتوح مصر والمغرب.
حققه وقدم له علي محمد عمر، القاهرة ١٩٩٥.

ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد)؛ المتوفى في أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.
تحقيق وتعليق كولان وليفى بروفنسال، بيروت ١٩٨٣.

أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل)، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م
تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠.

ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي)، المتوفى ٤٠٣هـ /

١٠١٢م
تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، القاهرة ١٩٨٨.

القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي)، ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك تحقيق أحمد بكر محمود، بيروت – طرابلس ليبيا ١٩٥٦.

القلقشندي (أبو العباس أحمد)، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م.
صبح الأعشى في صناعة الإنشا
قدم هذه الطبعة فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٥.

مجهول (لكاتب مراكشي)، عاش في القرن ٦هـ / ١٢م
كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار.
نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الكويت ١٩٥٨.

مجهول توفى ٧١٢ هـ / ١٣١٢م
تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر
تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، ١٩٩٨.

المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعي)، ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، القاهرة ١٩٩١.

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ٦٧٧ – ٧٣٣هـ / ١٢٧٨ – ١٣٣٢م .
نهاية الأرب في فنون الأدب.
تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهواني الجزء الرابع والعشرين، القاهرة ١٩٨٣.

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي)، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م
معجم البلدان ، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٩٥ .

٢- المراجع:

إبراهيم القادري بوتشيش علاقة الخلافة الإسلامية بمنطقة سوس أبان عصر الولاة، قراءة وملاحظات، فصلة من ندوة عن أغادير ١٩٩٠.

أحمد الطاهري إمارة بني صالح في بلاد نكور، فصول منسية من تاريخ المغرب، الدار البيضاء ١٩٩٨.

بوزياني الدراجي سلسلة العصبية القبلية في دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، الجزائر ٢٠٠٢.

الحسن السائح الحضارة الإسلامية في المغرب، الدار البيضاء ١٩٨٦.

حسين مؤنس تاريخ المغرب وحضارته، بيروت١٩٩٠.
معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٤.

حمدي عبد المنعم مدينة سلا في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسي، الإسكندرية، ١٩٩٣.

رضوان البارودي "التاريخ السياسي لمدينة سبتة من القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري"، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ٣٦ ، ١٩٨٩.

سحر عبد العزيز سالم من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية ١٩٩٣.

سعد زغلول عبد الحميد تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية ١٩٧٩

سنوسى يوسف إبراهيم زناتة والخلافة الفاطمية، القاهرة ١٩٨٦.

سوزي أباظة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى من تمام الفتح حتى قيام الدولة الفاطمية رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية – جامعة القاهرة ١٩٩٦.

عبد العزيز بن عبد الله سلا أولى حاضرتي أبي رقراق، سلا ١٩٨٩.

عبد الواحد ذنون طه ابن عذاري المراكشي شيخ مؤرخي المغرب العربي، بنغازي ٢٠٠٤.
تاريخ المغرب العربي، بنغازي ٢٠٠٤.

عز الدين موسى النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت ١٩٨٣ .

فتحي زعروت العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي، القاهرة ٢٠٠٦.

محمد ضياء الدين الريس — الخراج والنظم المالية، القاهرة، ١٩٨٥.

محمد عبد الله عنان — دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الناصر، القسم الثاني، القاهرة ١٩٦٠.

محمد عيسى الحريري — حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية ٢٦٧هـ / ٨٨٠م، ٣١٦هـ / ٩٢٩م، الإسكندرية ١٩٨٥.

الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، علاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، الكويت ١٩٨٧.

محمود إسماعيل — سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، جزءان، القاهرة ١٩٨٨.

الأدارسة ١٧٢ – ٣٧٥هـ حقائق جديدة، القاهرة ١٩٩١.

الهادي روجي إدريس — الدولة الصنهاجية

تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠ إلى ١٢م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت ١٩٩٢ جزءان.

- Benco, Nancy, Anatomy of Medieval Islamic Town Al-Basra Morocco, International series 1234, Oxford, 2004.
- Eustache, Daniel, «El- Basra, Capitale Idrissite et son port, » Hespéris Archives Berbéres et Bulletin de l'institut des Études Marocaines, 1955, Tome XLII, pp.217-238.
- Corpus des Dirhams Idrisites et Contemporains, Rabat 1970-1971.
- Lavoix, Henri, Catalogue des Monnaies Musulmanes de La Bibloithèque Nationale, Paris 1841.
- Mercier, Ernest, Histoire de L'Afrque Septentrionale, Paris 1888.
- Terrasse, Henri, L'Art hispano-mauresque des origins des 111e siécle, paris 1961.

Histoire du Maroc, Casblanca, 1975.